روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

10

Looloo
www.dvd4arab.com

دائرة الموت

عدد خاص

المؤسسة العربية الحديثة

مقدمة ما زلت أراها غير ضرورية .. لكنى مضطرة !

ها نحن أولاء نلتقى من جديد ..

بصراحة أوحشتمونى - لقد بدأت أعتادكم وأعتاد ثرثرتى معكم عبر السطور ، حتى إن الحنين يجرفنى نحو أوراقى كلما ابتعدت مع دوامات الحياة التى لاترحم أحدًا ، لكن المهم أن أكون أنا أيضًا قد أوحشتكم ، فبدون هذا الشرط اللانهائى الأهمية لا يصبح لحنينى واشتياقى إليكم أى معنى أو قيمة ، وأصبح أنا بكل بساطة غير موجودة !

من أنا ؟!!

يا إلهى .. هل نسيتمونى بهذه السرعة ؟!

وأنا الذى تماديت فى سردَ شوقى ووصف ما يعتمل فى أعماقى نحوكم جميعًا ؟!

عمومًا سأتجاوز حرجى وأتناسى احمرار وجنتى .. فقد

اعتدت مثل هذه المواقف بحكم كونى صحفية فضولية متخصصة فى جلب المتاعب لنفسها ولمن حولها - إذ إنه جلّ من لا يسهو ، ثم إننى لست مشهورة إلى حد أن أبدأ الحديث هكذا دون ذكر اسمى على الأقل ، لكن عذرى هو أننى معكم هنا للمرة الرابعة !

أنا - لمن لا يعرف - (نسرين الجبالى) ، طالبة فى كلية (الإعلام) قسم (صحافة) ، وصحفية تحت التمرين فى جريدة مستقلة تدعى (الأربعاء) - لأنها تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع - ترأس تحريرها السيدة الفاضلة (ألفت همام) التى تحيطنى دومًا برعايتها واهتمامها ، وتعاملنى كابنة أكثر من مرءوسة ، إذ إننى يتيمة الأم منذ كنت فى المهد صبية ، أما أبى فهو جراح المخ والأعصاب الشهير (فاروق الجبالى) - أعتقد أنكم سمعتم عنه - المشغول دائمًا بمستشفاه الخاص وبمرضاه ومؤتمراته العلمية وأبحاثه التى لاتنتهى ، وبرغم كل هذا فلن أستطيع أن أصف لكم جزءًا صغيرًا من عشقى لهذا الرجل وارتباطى الحميم به مهما قال علماء النفس (المهاويس) إن هذا ناتج عن عقد رسبتها طفولة بائسة حرمت فيها من حنان الأم فتوجهت بكل طاقتى العاطفية نحو تمثال السلطة الأبوية ،

أو أن هذا ربما يكون قد نتج عن تضخم عقدة (إلكترا) التى ادعى خالد الذكر المرحوم (سيجموند فرويد) وجودها فى نفس كل فتاة تحب أباها فى فترة المراهقة !

المهم أننى أحب الرجل بشدة ، ولا تتعجبوا إذا عرفتم أن هذا يضايق خطيبى أحيانًا !

اندهشتم ؟

لقد توقعت هذا !

لقد أدهشنى هذا مثلكم فى البداية ، لكنى بدأت أستسيغ الأمر نوعيًا عندما أيقنت أن الرائد (هشام القاضى) - خطيبى ! - هو رجل يغار من خياله كما يقولون ، ولا علاقة لهذا بمقدار حبه لى لو تبادر هذا إلى خيالكم ، إن الغيرة الشديدة هى نوع من أنواع حب التملك الزائد عن الحد تقويها نزعات طفولية حادة مرتبطة بمنطقة الـ (هو) من النفس البشرية ، وهذا رأى آخر من آراء علماء النفس (المهاويس) الذين مازالوا يهرطقون بما لايعرفون ليلاً ونهارًا ..

ولكن .. بعيدًا عن كل هذا ، مازلت أحبه دون أن أخجل من اعترافى ، فمازلت أرى أنه شتان ما بين (الحياء) الذى يتوافر فطريًا فى كل فتاة شرقية ، وبين (كبت المشاعر) الذى

يؤدى إلى أفدح العواقب ، ويمكننا اعتبار (البرود العاطفى) و(تفكك المجتمع) اثنين من أبسط هذه العواقب الفادحة ، ولا علاقة لعلماء النفس (المهاويس) بهذا الرأى هذه المرة ، إنه رأيى أنا بكل تواضع !

ثرثرت كثيرًا دون أن أذكر أهم نقطة فى الموضوع على الإطلاق ، لكنى متأكدة أن من كانوا هنا فى المرات الثلاث السابقة يعرفون جيدًا ما أتحدث عنه ..

أو من أتحدث عنه ..

إننى أتحدث عن الرجل الذى ساعدنى فى كشف قاتل طالب الطب الحقيقى وإعادة القلادة الماسية الأصلية فى المرة الأولى ، وساعدنى فى معرفة سارق (عين القط) فى المرة الثانية ، وساعدنى فى كشف القاتل الأعرج لضحيتى المسرح الجامعى فى المرة الثالثة ، وأنقذ حياتى فى المرات الثلاث من موت شبه محقق ، كأنه يد العناية الإلهية التى تحرسنى دون أن أراها !

نعم ، هذا هو الجزء الغامض المبهم فى الأمر كله !

هذا الرجل يتبعنى ـ كآثار قدمى ـ دون أن أستطيع أن

أراه ، أو أن أعرف من هو ، أو ماذا يريد ، أو ما مصلحته فى كل ما يفعل ، أو لماذا يتصل بى أنا بالذات ، والأدهى أننى لا أعرف متى سأعرف ، بل إننى لا أعرف إن كنت سأعرف أو لا فى يوم من الأيام !!!

كأنه شبح ، أو كائن هلامى زئبقى لاتستطيع الإمساك به ، وكلما حاولت وأخذت تدنو منه ، وتدنو ، وتدنو ، أفلت منك فى اللحظة الأخيرة قبل أن تقبض كفك عليه ، وربما بعد أن تقبض عليه بالفعل !

إنه هو ...

السيد (س) ..

أو هكذا يحب أن يسمى نفسه ..

الرجل الظل ، الذى لايعرفه أحد ..

أو هكذا أحب أنا أن أسميه ..

دعونى أرو لكم اليوم واحدة من ..... مغامراتى معه ، وضع فوق النقاط ما تشاء من صفات ، أفظع ، أطول ، أروع ، أشنع .. اقرأ أولاً وضع النعت الذى تجده مناسبًا فى النهاية ..

كل ما أستطيع أنا قوله ، أنها كانت بالفعل مغامرة رهيبة ..

بكل المقاييس كانت رهيبة ..

ودون أن أحرق عليكم القصة قبل بدايتها ـ فهى ليست إحدى خصالى السيئة الكثيرة التى لا يتسع المجال لإحصائها ـ أود أن أشير فقط إلى أنها ليست مغامرتى رقم (٤) مع السيد (س) ..

بمعنى أن هذا ليس ظهوره للمرة الرابعة على ساحة الأحداث ..

لقد تجاوزت مغامرتى مع (صديقتى) ابنة المليونير الشهير فى (الإسكندرية) ، ومع المايسترو (سليم حجاب) ، مع (إخوة الدم) المرعبين ، ومع معرض الفنان (طارق شهبور) ، لأروى لكم هذه القصة الفريدة ، لكنى أعدكم بأن أقص عليكم كل ما سبق فى مرات قادمة ..

وتظل ـ كالعادة ـ أسئلة عديدة ، لماذا ؟! وكيف ؟! وهل ؟! ومتى ؟! لن أقلد الجاحظ الذى أجاب على ٩٩ سؤالاً بكلمة واحدة هى (لا أدرى) !

ولن أقلد كاتبًا شهيرًا لروايات الحركة ، الذى كلما سألوه عن مصداقية بطله أجاب (لا أستطيع الرد لأسباب أمنية) !

ولن أقلد كاتبًا آخر يجيب دومًا بـ (ما شأنك أنت) ؟!
لقد قبلت أن تنخدع فدعنى إذن أخدعك !

سأجيب فقط بدبلوماسية أورثها لى أبى :

ـ لنقرأ القصة أولاً ثم نتفاهم ..

طالت المقدمة هذه المرة أكثر مما ينبغى ، لنبدأ إذن على الفور ..

هل تعرفون متى رأيت (خلود) لأول مرة ؟!

* * *

١

ـ غدًا فى تمام السابعة ، إياك أن تفكرى فى الاعتذار أو التأخر !

هكذا دعتنى (مروة) ـ صديقتى العاقلة المحجبة الهادئة الرزينة ـ إلى حفل عيد ميلادها ، وأردت بعدها بالطبع أن أبدى امتنانى لهذه الدعوة وأن أؤكد لها حضورى فى الموعد الذى حددته ، لكن (رحاب) ـ ثالث أضلاع مثلث صداقتنا الحميمة والقديمة ـ سارعت تقول قبل أن أنطق أنا :

ـ ذكرونى أن أحضر معى ثلاثًا وسبعين شمعة ابتهاجًا بهذه المناسبة السعيدة !

تبسمنا جميعًا ضاحكين من قولها ، وأخذت أستعد مجددًا لقول ما أبغى قوله ، لكن (نائل) ـ أحد زملائنا فى الكلية ـ سبقنى بقوله :

ـ لا تتجنَّ على الفتاة يا (رحاب) ، إنها مازالت شابة فى ريعان الصبا لم تتجاوز الستين سوى بعام واحد فقط !

ضحك الجميع لقوله ، وحاولت أن أسبق الجميع لأقول ما احتبس فى حلقى من كلمات ، بيد أن (تامر فوزى)

ـ الذى توطدت صلته بشلتنا منذ مغامرتى معه فى مسرحية الأعرج(*) ـ قال وهو ينفث دخان سيجارته الأمريكية الطويلة :

ـ عجيبة ! برغم أن من يراك لا يعطيك أكثر من أربعين عامًا ، عزيزتى (مروة) !

إنهم يضحكون من جديد ، وأنا أشاركهم بالطبع ـ مبتسمة ـ وأحاول أن أدارى غيظى وأمنع طبيعتى المتمردة المشاغبة من الصراخ فى وجوه الجميع : (دعونى أقل لها ما أريد ، ثم مارسوا خفة ظلكم فيما بعد أيها الحمقى) !

لكن (مروة) نفسها لم تمنحنى هذا الترف ، وبادرت بالقول :

ـ حسن أيها الظرفاء ، لتمارسوا مهاراتكم هذه فى حفل الغد ..

قال (تامر فوزى) :

ـ أستطيع أن أحولها لك إلى مسرحية كوميدية جديرة بمسارح القطاع الخاص فى موسم الصيف القادم !

(*) راجع رواية (الأعرج) ، مغامرات (س) رقم (٣) ، سلة الروايات رقم (٩)

وقال (نائل) :

ـ وأنا سأحفظ الليلة كتاب النكات لألقيها جميعًا على آذانكم غدًا !

وقالت (رحاب) :

ـ ما رأيك لو دعونا (منولوجست) مثلاً ؟!

الجميع يتكلمون متجاهلون إياى وكأننى ابنة البطة السوداء ..

ولكن ....

ها هى ذى فرصتك يا (نسرين) ، قولى شيئًا ، أى شىء ..

ـ لن نكون فى حاجة إلى هذا لحسن الحظ ..

قالتها (مروة) لتقضى على أملى الأخير ، فلذت بالصمت بينما تابعت هى :

ـ فقد اتفقت مع أخى (أحمد) على أن يكون الحفل تنكريًا !

رفعت (رحاب) حاجبيها الرفيعين هاتفة فى انبهار :

ـ يا لها من فكرة رائعة ..

وفرقع (نائل) بأصبعيه فى الهواء قائلاً فى جذل :

ـ أنا أعشق هذا النوع من الحفلات ..

ونفث (تامر) الدخان سائلاً فى هدوء :

ـ هل سنكون مقيدين بنوع معين من التنكر ، كالأقنعة أو الماكياج أو .....؟

قاطعته (مروة) هازة رأسها يمنة ويسرة :

ـ كلا ، لكم مطلق الحرية فى ابتكار ما تحبون ، وهناك جائزة لأفضل تنكر كما هو معتاد ..

ضيق (تامر) عينيه مغمغمًا :

ـ سيكون هذا مثيرًا بحق ..

التفت (نائل) نحوى هاتفًا وهو يعبث بشاربه الأسود المستكين تحت أنفه فى تهذيب :

ـ سيكون الأمر أكثر إثارة لو أن صحفيتنا الشهيرة (نسرين الجبالى) قامت بدعوة السيد (س) إلى الحفل ..

كان السيد (س) قد بدأ صيته يذيع جزئيًا بعد سلسلة التحقيقات التى نشرتها الجريدة عن أدواره التى قام بها فى

حل الكثير من القضايا التى كانت ستقيد حتمًا ضد مجهول بدونه ، وبرغم أن الكثيرين لم يصدقوا وجوده وأخذوا يكيلون لى الاتهامات بأننى مدعية وملفقة ومختلقة ومؤلفة لقصص بوليسية بطلها شخصية وهمية من نسج خيالى ، بهدف الشهرة الشخصية ورفع أرقام توزيع الجريدة ، وبرغم السخرية التى مازالت تلاحقنى فى كل مكان بسبب هذا الأمر ، إلا أن القراء مازالوا ينتظرون ظهوره على الصفحات ، وهو مايكفينى تمامًا فى الوقت الحالى ..

سيثبت السيد (س) وجوده بنفسه فى يوم من الأيام ..

أنا واثقة من هذا تمام الثقة ..

وبرغم ما حملته عبارة (نائل) من سخرية ظاهرة ، إلا أننى ـ كعادتى فى مثل هذه الأمور ـ نظرت إلى نصف الكوب المملوء ، فهو قد حوّل الأنظار نحوى ومنحنى أخيرًا فرصة الحديث على طبق من البلور النقى ..

وبكل الثقة ، وكل الثقة ، وكل الثقة ، عدلت من وضع منظارى الطبى فوق أنفى ، وملأت صدرى بهواء الكافيتيريا المحمل بعبق السجق والهامبورجر والصلصة والمايونيز ، ثم قلت فى اتزان :

ـ لو أتى ، فسيحصل على الجائزة الأولى فى التنكر بلا منازع !

★ ★ ★

فى تمام السابعة مساءً توقفت السيارة الزرقاء التى تحمل على جانبيها شعار الشرطة أمام البوابة الخارجية للفيلا الصغيرة الكائنة فى أحد أكثر شوارع حى (مصر الجديدة) هدوءًا وسكينة ، إن لم يكن أكثرها فعليًا على الإطلاق ..

ـ هل ستواتيك الجرأة على النزول من السيارة بهذا الشكل ؟!

سألنى (هشام) وهو يرمقنى بنظرة امتعاض لم أخطئ تعرفها ، فهززت كتفى وبدأت أمارس هوايتى الأثيرة التى لا أدخر جهدًا فى سبيل تنميتها بمرور الزمن ، وأعنى بهذه الهواية استفزاز (هشام) بهدوئى وبرودى وأنا أقول فى بساطة :

ـ ولِمَ لا ؟!

ثم أردِف :

ـ لا أعتقد فى كونها جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات !

كاد ينطق حكمته الأثيرة التى لايمل من تكرارها على أسماعى ، لكنى أسرعت بالقول وأنا أفتح باب السيارة المجاور لى :

ـ قبل أن تجشم نفسك عبء قولها ، سأوصى ـ إذا كان جنونى سيقتلنى فى هذا اليوم تحديدًا ـ بدفنى فى الهرم الأكبر بنفسه ..

ولملمت أطراف ثوبى الطويل لأهبط من السيارة وأنا أتابع :

ـ ألا ترى أننى أستحق هذا ؟!

أتانى صوته من الخلف يقول ، وقد مط شفتيه قبلها بالتأكيد :

ـ سآتى لاصطحابك إلى المنزل فى العاشرة ..

ـ أستطيع العودة مع (رحاب) فى سيارة أبيها ..

ـ كلا ، سآتى بنفسى فى العاشرة ، اتفقنا ؟!

ـ اتصلْ بى قبلها على المحمول حتى أكون مستعدة ..

أومأ برأسه بما معناه أنه سيفعل ، ثم انطلق مبتعدًا بمجرد أن أغلقت الباب خلفى !

فى المعتاد ينتظر حتى دخولى اطمئنانًا علىّ ، لكنه فعلها عمدًا هذه المرة ليجعلنى أشعر كم هو غريب منظرى وأنا أقف وحيدة على الرصيف والنقوش الفرعونية تملأ الثوب الأبيض الطويل الذى أرتديه ، والذى تذكرت وجوده فجأة مع بعض الزينة والاكسسوار الفرعونى بعد سنين طويلة ، إذ أديت به دور (إيزيس) على مسرح المدرسة فى بداية المرحلة الثانوية ..

وماذا فى هذا ؟! أليس حفلاً تنكريًا ؟!

هكذا إذن يا (هشام) !

أحيانًا أضيق بطفولته هذه ذرعًا ، وأكاد أوشك على الانفجار ، لكن حبى له يشفع لكل هذه الحماقات الصغيرة فى النهاية ..

هه .. ما باليد حيلة ..

إلى الداخل إذن !

خطوت بالفعل عدة خطوات نحو البوابة عندما توقفت خلفى سيارة حديثة الطراز ، وإطاراتها تصدر صريرًا مزعجًا فوق الأسفلت لم يش إلا بسائق متهور حقًا ..

التفتُ بحركة لا إرادية ، ورأيته ..

من يكون غير (تامر فوزى) ؟!

عرفته برغم التنكر المتقن الذى اختفت خلفه ملامحه الأصلية ، لحية كثيفة ، شعر الرأس والحاجبين أكثر كثافة ، ورداء أسود فاحم ذو قلنسوة طويلة تغطى الرأس ..

ـ مساء الخير يا عروس النيل ..

قالها مازحًا وهو يدنو منى ، بينما تفرست أنا فى تنكره أكثر ثم قلت فى لهجة سؤال :

ـ (راسبوتين) ؟!

هزّ رأسه أن نعم ، وواصل اقترابه قائلاً :

ـ توقعت أن تعرفيه أنت بالذات ، إنهم يسمونه الراهب الرهيب ، وهذا يروق لى كثيرًا يا عزيزتى ..

ـ مازلت تصر إذن على أن تبدو غريب الأطوار ..

توقف أمامى ، ثم قال وعيناه تشعان بذكائهما المعهود :

ـ فى الواقع أننى أكن تقديرًا خاصًا لِقُدرات هذا الرجل ، مهما اختلفنا بعدها فى كيفية توظيفه لهذه القدرات الخارقة ..

قلت وقد استفزنى منطقه :

ـ مادمت تفكر بهذه الصورة ، فالشيطان إذن أولى بالتقدير ، إذ يتفوق كثيرًا على راهبك الرهيب هذا ، فى تسخير قدراته الهائلة لخدمة القوى الكونية السوداء ، التى نطلق عليها مجازًا (الشر المطلق) !

أراد أن يمنحنى ردًا من ردوده العجيبة ، أو أن هذا ما بدا ، لكن إيقاعًا غريبًا انبعث من الداخل فجأة مؤذنًا ببداية الحفل الفعلية بتر الحوار بيننا ، فلم نجد بديلاً عن أن ندخل معًا ..

لو رآنى (هشام) أسير الهوينى إلى جواره هكذا ، لما تورع عن استلال مسدسه الحكومى وإفراغ رصاصاته كلها فى رأسينا معًا ، ولربما قام بخنقنا بعدها !

ولكن .. ماذا بوسعى أن أفعل ؟!

ثم إنه هو الذى تركنى وحدى ، ليحتمل إذن عاقبة ماجنته يداه ..

هه ... ما باليد حيلة ..

إلى الداخل إذن !

★ ★ ★

كان (إلفيس بريسلى) يتلوى بجسده اللين خلف جهاز (مازج الأصوات) الذى يقف خلفه كـ (دى . جى)(*) ، بينما أخذ (هولاكو) قائد التتار فى الرقص مع (يوليوس قيصر) الزعيم الرومانى القديم على نغمات الإيقاع العالى السريع فى منتصف الصالة ، التى صاحبها تصفيق (سنو وايت) و(الجميلة النائمة) ، أما (أدولف هتلر) فقد كان يتلمس طريقه نحو المائدة العامرة بأصناف الحلوى والطعام ، ولم ينتبه مسخ (فرانكنشتاين) لكل هذا إذ انهمك فى حديث جانبى مع (أم كلثوم) !

لم أتوقع أبدًا أن يكون الحفل على هذه الدرجة من الصخب والخروج على المألوف إلى الحد المتنافى مع طبيعة (مروة) ، غير أن هذا كله بدا من تخطيط وتنفيذ شقيقها الأكبر (أحمد) ، وهو طالب (هندسة) فى الجامعة الأمريكية ، ويحب أن (يعيش حياته) كما يقول التعبير الدارج هذه الأيام ..

(★) الاختصار الإنجليزى (D.J) لكلمتى (Disk Jockey) أى (فارس الأسطوانات) وهو تعبير أدبى أنيق يطلق على من يعد برنامجًا مؤلفًا من مجموعة من التسجيلات الموسيقية مع تعليقات بينية غير ذات صلة بالموسيقى (كالإهداءات مثلاً) سواء فى الهواء الطلق أو من خلال بث مسموع أو مرئى ..

ووسط هذا الصخب الحاد سمعت (مروة) بصعوبة وهى تهتف بى مرحبة :

ـ تأخرت خمس دقائق كاملة !

ـ كنت فى حوار فلسفىّ عند البوابة مع الأخ (راسبوتين) !

ثم إنى سألتها زاعقة فى أذنها وقد لاحظت أنها الوحيدة التى لم تتنكر :

ـ لماذا لم تتنكرى والحفل حفلك ؟!

أجابتنى بمنتهى الصراحة :

ـ لم أجد لدى ما يناسب هذا العبث الصبيانى !

رن جرس الباب فاستأذنت (مروة) منّى لترحب بالقادمين ، تركتنى وحيدة وسط أمواج الزيف والأقنعة ، وأنا أكره الزيف والأقنعة !

لدقيقة أو أقل ظللت أراقب (أحمد) ـ فى زى (يوليوس قيصر) ـ و (نائل) ـ فى زى (هولاكو) ـ وهما يؤديان الحركات الصعبة للرقصة الشهيرة المصاحبة للأغنية الغربية المزعجة الصادرة من سماعتين ضخمتين ، وقد انضم إليهما (تامر فوزى) فى تنكر (راسبوتين) ..

صحيح أن المشهد بدا طريفًا بحق ، لكن صحيح أيضًا أننى سريعة الملل ، لذا فقد انسحبت بهدوء ، واتجهت نحو باب الشرفة الخلفية للطابق الأرضى من الفيلا ، لأقف فى النهاية وحيدة ، متكئة بساعدى على سور الشرفة ..

هكذا أنا دومًا ، أحب أن أعلو فوق مستوى الأحداث !

ـ إحم .. هل ..

التفتُ مفزوعة ، لم أشعر بخطوات تقترب منى برغم أن المكان هنا هادئ بعيدًا عن ضوضاء الداخل ، لم أشعر إلا بهذا الصوت خلفى مباشرة !

ـ من ؟!

ـ أنا آسف .. لم أقصد إزعاجك !

شاب عادى تمامًا ، هذا ما رأيته أمامى فور استدارتى نحو الصوت ، ولا يبدو تنكره فى زى (سوبرمان) الشهير بلونيه الأزرق والأصفر والحرملة الحمراء على ظهره مبالغًا فيه ، لكن السؤال فرض نفسه بشدة : ماذا يريد ؟!

ـ .... كنت أريد أن أسأل : هل أنت الآنسة (نسرين الجبالى) ؟!

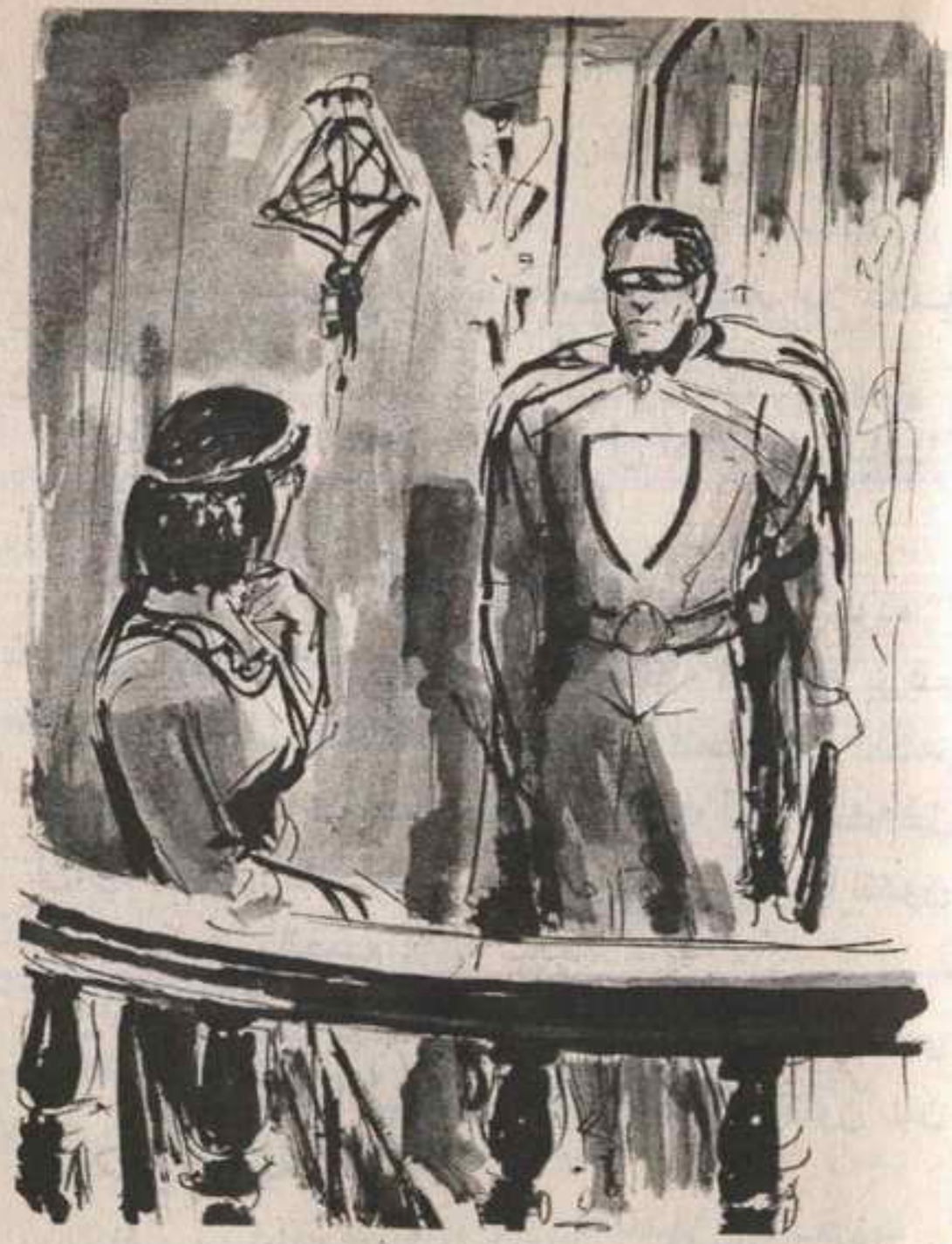

شاب عادى تمامًا ، هذا ما رأيته أمامى فور استدارتى نحو الصوت ، ولا يبدو تنكره فى زى (سوبرمان) الشهير ! ..

لم يصبح اسمى علمًا من أعلام الصحافة ، لذا اكتست نبرتى بالدهشة وأنا أجيب :

ـ نعم !

تنحنح الشاب ـ الذى بدت ملامحه كأى شاب بلا علامة مميزة ـ قائلاً :

ـ فى الحقيقة .. كـ ... كنت أود أن أهنئك على سلسلة تحقيقات السيد (س) !

هل يريدون الإطراء حقًا ؟! أم يختبرون صدق وجوده ؟! أم لعلهم يعتقدون أننى أخفى كنه شخصيته الحقيقية برغم علمى بها ؟ أسئلة تلحّ على خاطرى كلما أبدى أحدهم إعجابه بما أكتب ، وتجعل وجومى للحظات أمرًا معتادًا قبل أن أرد بعبارتى التى قضيت ليالى طويلة فى دبجها لتكون ردًا واحدًا على الجميع :

ـ لو كنت مكانك لهنأته هو ، فلا فضل لى فى الأمر سوى الكلمات التى أكتبها ليجمعها عمال المطبعة وتكون بين أيديكم فى النهاية ..

ـ لقد استطاع أن يثير اهتمامى حقًا كدارس للنفس البشرية !

ثم إنه مد يده نحوى معرفًا نفسه :

ـ اسمى (مؤنس) أدرس (علم النفس) فى كلية (الآداب) ..

صافحته فى شىء من الحذر ، إذ لا أحبذ التبسط مع كل الناس هكذا من أول كلمة ، لابد أن أعرف أولاً مع من أتكلم ..

ـ إننى ابن خالة (مروة) ..

أتبع بها ما قال فاطمأنت نفسى نسبيًا ، ولم أجد بدًا من الابتسام ، وبرغم علمى بمدى سخافتى وأنا أصطنع هذه المجاملات الاجتماعية البغيضة قلت :

ـ تشرفت بلقائك !

ثم أحسست أنها عبارة غبية من الحرج المطل فى وجه (مؤنس) ، إنها لاتقال إلا فى ختام الحديث لابدايته ، ومن الواضح أن لديه الكثير ليقوله ، لذا حاولت إنقاذ الموقف قدر استطاعتى بقولى :

ـ ماذا قصدت بإثارة السيد (س) لاهتمامك من منظور

(علم النفس) ؟! هل تعنى مثلاً أن الغموض الذى يحيط بشخصيته يمكننا من تحليل نفسيته على أسس ما ؟!

قال (مؤنس) وقد جلس أمامى على مقعد من مقاعد (البامبو) المنتشرة فى الشرفة :

ـ بل أعنى ما هو أبعد من هذا ، تلك العلاقة الخاصة جدًا التى تربطك به ـ كصحفية تكتبين عنه ـ والأشبه بجلسة لتحضير الأرواح تمثلين فيها دور الوسيط ، ذلك الرابط الخفى المبهم الممتد بينك وبينه ، هو يعلم عنك كل شىء كأنه يسكن فى تلافيف مخك ، وأنت تجهلين عنه أى شىء ، حتى أبسط خط عريض عن حياته ، حتى يصل بنا الأمر نحن القراء لأن نفكر ـ ولابد أنك أيضًا قد فكرت فى هذا ـ فى أنه غير موجود إلا فى خيالك كنوع من (الفانتازيا) العنيفة ، كانعكاس معقد لكل المشاعر المتضاربة والاضطرابات المتناقضة والصراعات النفسية فى أعماق أعماق لاوعيك !

التقط أنفاسه ثم تابع مستخدمًا أصابعه فى العد ..

ـ إنه أفضل تطبيق لنظرية عالم النفس الأشهر (يونج) الذى قسم النفس الإنسانية إلى ثلاث مناطق : (الوعى) الخاص

بما هو موجود ومحسوس وملموس فى حياتنا اليومية ، (اللاوعى الشخصى) وهو الجزء البدائى الفطرى داخلنا المقابل لـ (هو) فى مدرسة (فرويد) ، و (اللاوعى الشامل) الذى يمثل ميراث ما تركه السلف فى أنفسنا من بصمات ، وهو ما ينعكس بدوره فى صورة أحلام ورؤى وإحساسات غير ذات معنى فى منطقة (الوعى) ، ونحن هنا نتحدث عن المنطقة الثانية التى تقع تحت السطح مباشرة لو صح التعبير ، والتى تحمل جزءًا أساسيًا من مكوناتها يسمى (الظل) أو (الشبح) ، إن السيد (س) طبقًا للنظرية هو هذا الجزء الكامن من شخصيتك ، المتجسد لك بين الحين والحين كطيف أو حلم يشبه كثيرًا ، وإلى حد كبير الواقع اليومى المعاش ..

كنت منصتة له باهتمام حقيقى قلما وجهته نحو متحدث ، ثم وجدت نفسى أقول كأننى أحاول إقناع نفسى بما سمعت :

ـ أى أن السيد (س) لايملك كيانًا ماديًا ، وهو فى النهاية وهم يطاردنى ؟!

ـ إنه اقتراح وجيه منى ، وتفسير أكثر وجاهة منك !

سألته كمريض يستشير طبيبه المعالج :

ـ لكن هذا لا يفسر الكثير من النقاط .. أليس كذلك ؟!

قال مبتسمًا :

ـ لست خبيرًا يعتد برأيه ، بيد أنه تطبيق لابأس به لنظرية شهيرة ليس أكثر !

ـ أراهن بمليون جنيه على أن الحديث يدور حول السيد (س) !

صوت (رحاب) ووجه (دراكيولا) ـ أشهر مصاصى الدماء فى التاريخ ـ عند مدخل الشرفة ، هذا يبدو متناغمًا بالفعل !

ـ أليس هذا أفضل من الحديث عن (ليوناردو دى كابريو) أو (ريكى مارتن) ؟!

قلتها أنا لابسة قناع الرصانة ، فاقتربت (رحاب) فى تنكرها الفظيع من مجلسى ـ أنا و (مؤنس) ـ قائلة وهى تضخم صوتها :

ـ ماذا إذن عن القليل من الرعب ؟!

أردت أن أقدم لها (مؤنس) ، لكنها لم تسأل ، وهو لم يبد

اهتمامًا فأحجمت ، ونظرت إليها وهى تجذب مقعدًا آخر من (البامبو) لتجلس معنا ثم قلت :

ـ ستروين لنا قصة فيلم (الصرخة) للمرة العشرين ، أليس كذلك ؟!

ارتسم الاشمئزاز فوق ملامح (مؤنس) وهو يقول :

ـ مازلت أعتبر مشاهدة هذه الأفلام نوعًا من (المازوخية)(*) !

أردت أن أقول إن (رحاب) التى يستهويها الرعب إلى هذه الدرجة جبانة ، لدرجة أن صراخها سيملأ الدنيا لو مرق فأر تحت قدميها ، لكنى لم أشأ أن يتم التعارف على هذه الصورة بينهما .. فقلت :

ـ إن (رحاب) تعانى أيضًا من السادية(**) إذ تروى لنا كل فيلم شاهدته من هذه النوعية المزعجة !

أعتقد أن هذه أخف وطأة !!

ـ من منكما شاهد فيلم (الصرخة) ؟!!

(*) المازوخية : حب تعذيب الذات ..

(**) السادية : حب تعذيب الآخرين ..

سألت (رحاب) دون أن تعبأ بما قلت ، وقبل أن يتفوه أى منا بكلمة ، أتى صوت (تامر فوزى) من خارج سور الشرفة :

ـ من يتحدث عن الأفلام فى غيابى ؟!

(تامر) و(نائل) يتنزهان فى حديقة الفيلا الضيقة ، وهى عبارة عن مستطيل صغير فى طرفها تتخلله أحواض زهور وشجيرات فل وياسمين وريحان ذات عبير طيب مع بعض اللبلاب المتسلق فوق سور الفيلا الخلفى ..

ـ ماذا تفعلان عندكما ؟!

سألتهما فى ضيق إذ لا أحب أبدًا أن يذرع أحدهم المكان هكذا دون إذن من صاحبه ، فأجاب (نائل) فى بساطة كأنه أحد حقوقه المكتسبة بوضع اليد :

ـ نتنزه ، تعبنا من الرقص فى الجو الخانق بالداخل !

ـ سمعت الحديث حول فيلم (الصرخة) ..

قالها (تامر) قافزًا فى رشاقة ليصبح معنا داخل الشرفة ، ثم أردف نافضًا كفيه و(نائل) فى إثره :

ـ لقد عالج تيمة (القاتل المتسلسل) بطريقة شديدة الجاذبية ..

هتفت (رحاب) فى حماس :

ـ أن (هالووين) بأجزائه مازال هو الأفضل ..

قال (مؤنس) فى رزانة :

ـ لكنه ملىء بالسطحية التجارية المعروفة ، و (الصرخة) كذلك ، لكن (سبعة) لـ (برادبيت) و (مرجان فريمان) والمخرج المبدع (دافيد فنشر) قد عالج (التيمة) نفسها من وجهة نظر فلسفية راقية تبعد كل البعد عن الإثارة الرخيصة ..

هز (تامر) رأسه مؤيدًا ، ثم قال :

ـ كذلك (صمت الحملان) لعبقرى الأداء (أنتونى هوبكنز) ، لقد استطاع الغوص فى أدق تفاصيل نفسية القاتل السيكوباتى مقدمًا لنا صورة فى غاية الروعة ..

وساخرًا كعادته ، قال (نائل) :

ـ مارأيكم فى فيلم (سفاح النساء) لـ (فؤاد المهندس) و(شويكار) ؟!

ثم فوجئت بـ (تامر) يسألنى بغتة :

ـ وما رأى صحفيتنا العزيزة فى هذا الصدد ؟!

دائمًا يبغى هذا الفتى أن يستفز ملكاتى الكلامية عندما أفضل الصمت ..

ـ أنا من أشد المناهضين لهذه النوعية من الأفلام ..

ودائمًا ما أنجح فى تحويل (الكاميرا) إلىّ وسرقتها منه ..

ـ وأراها بعيدة كل البعد عن أبسط قواعد المنطق الواقعى !

لن ينافسنى أبدًا فى مضمار غرابة الآراء !

مندهشة قالت (رحاب) :

ـ لكن القتلة المتسلسلين موجودون بالفعل ..

قلت فى بساطة وكأنى عليمة بكل أمور الدنيا :

ـ ومن يدرينا ؟! من يستطيع الجزم بأن هذا النوع من

الجرائم المستحدثة ليس من ابتكار العقلية الإعلامية الغربية الجبارة ، التى مازالت تبيع لنا الوهم المعبأ على الصفحات المطبوعة وشرائط (السليولويد) المصورة ؟ ألا يمكنهم إيجاد تاريخ كامل لعشرات الحوادث الملفقة ـ بدءًا بـ (جاك السفاح) فى القرن التاسع عشر ـ التى نصدقها لمجرد أنه لا أدلة لدينا لتكذيبها ؟! ألا يستطيعون ذلك حقًا ؟!

قال (تامر) :

ـ أنتِ تتبنين إذن نظرية المؤامرة الشهيرة !

وأراد (نائل) أن يقول شيئًا :

ـ و ... ولكن ...

لكنى واصلت إلقاء أسئلتى الحاسمة بكل تحدَ مقاطعة إياه :

ـ هلا أخبرنى أحدكم لماذا لم يظهر هذا النوع من القتلة العصابيين أو الذهانيين إلا هناك ؟! لماذا لم يظهر هذا النوع هنا فى (مصر) مثلاً ـ إلا كشائعات فى المدن الصغيرة ـ برغم تشابه ظروف الحياة المعقدة كثيرًا فى العقود الأخيرة ؟! لماذا ؟!

صمتوا جميعًا كأن على رءوسهم الطير الأبابيل ، وقبل أن يتصل الحوار من جديد دخلت (مروة) وفى إثرها شقيقها (أحمد) الذى حياتا جميعًا ..

ـ ألم أخبرك أننا سنجدهم هنا ؟!

قالتها (مروة) ، فقال لنا (أحمد) :

ـ ما بالكم تتركون المرح والبهجة فى الداخل إلى الجهامة والقتامة ها هنا ؟!

ولما كان يعرف أن أحدًا منا لن يمنحه جوابًا ، إذ كانت الجهامة تعترينا بالفعل بما فينا (نائل) ـ أكثرنا مرحًا ـ فقد تابع بقوله :

ـ هلموا ، فهناك مفاجأة رائعة ستضفى على الحفل طابعًا خاصًا ورونقًا مميزًا ..

سأل (تامر) :

ـ هل سيتم اختيار صاحب أفضل تنكر الآن ؟!

هزّ (أحمد) رأسه نفيًا ، ثم قال :

ـ كلا .. ليس الآن ؛ المفاجأة أولاً ..

وفرك كفيه فى استمتاع وهو يضيف :

ـ وأنا واثق من أنها ستعجبكم للغاية !

★ ★ ★

٢

ـ لست أفهم شيئًا ، ما الذى يحدث ها هنا ؟!

مِلْت ناحية (شيماء رويتر) ـ أعتقد أنكم تعرفونها بالتأكيد ـ وأنا ألقى فى أذنها بالسؤال فى صوت خافت ، كنت أقف بجوارها عند طرف الصالة الواسعة التى تحول الصخب فيها إلى نغمات هادئة حالمة كنوع من الراحة للراقصين والمهللين والمصفقين ، وحتى الضوء الساطع الذى كان يغمرها منذ دقائق استحال إلى دفقات شاحبة مهتزة كثيرة الظلال ألقتها شموع كثيرة موقدة تناثرت فى كل الأنحاء إمعانًا فى إعطاء الحفل جوًا فريدًا ..

ـ سمعت أن هناك مفاجأة أعدها (أحمد) كلمسة من لمساته المبهجة !

لم يضف هذا إلىّ أى جديد فيما أتلمسه دومًا عند (شيماء) ملكة أخبار المجتمع والناس ، فنظرت نحوها ليصدمنى تنكرها للمرة الألف ، لقد كانت تبغى ـ وبحسن نية ـ التنكر فى زى الملكة الفرنسية (مارى أنطوانيت)

بعنجهيتها وأرستقراطيتها ، لكنها بدت فى الأسمال المهلهلة التى ترتديها والقبعة الكبيرة التى تغطى رأسها أشبه بـ (زينات صدقى) عندما كانت تهتف (كتاكيتو بنى) !

ـ أهذا كل ما تعرفينه عما يجرى ؟!

سألتها وأنا أشير إلى (أحمد) ومجموعة من زملائه الذين استغرقهم النمط الأمريكى حتى النخاع كما يظهر فى ملابسهم وقصات شعورهم وأسلوبهم فى التعامل والحديث واستخدام اليدين فى التعبير ، وهم ينظمون المقاعد الموجودة فى الصالة ـ ويجلبون المزيد من الشرفة ـ على شكل دائرة فى المنتصف ، فأجابتنى :

ـ إنهم يتكتمون على التفاصيل ، لكنى أعتقد أن للأمر علاقة وثيقة بهذه الفتاة هناك !

كانت تشير إلى فتاة فارعة الطول ، نحيلة القدّ ، تبدو ملامحها مبهمة فى هذا الضوء الخافت المتواضع ، تقف مع (مروة) فى ركن آخر تتبادلان حديثًا لم نسمع منه شيئًا بطبيعة الحال ، وتابعت (شيماء) :

ـ لقد بدأت هذه الهستريا الجماعية الغامضة بمجرد حضورها ..

حاولت استجلاء ما خفى من معالم وجهها لكنى فشلت ، حتى زيها التنكرى بدا مستترًا عصيًا على الوضوح ، فسألت (شيماء رويتر) فى اهتمام :

ـ هل تعرفين أى شىء عنها ؟!

لم أدرِ لماذا أسألها ، ربما هو الفضول الأنثوى الخالد الأشبه بنيران مستعرة تأكل قلب كل فتاة لمعرفة أى شىء عن فتاة أخرى ، ربما هو الفضول الصحفى الهاجع داخلى كمارد فى قمقم مفتوح ، ربما ..

ـ كلا .. إننى لم أرها فى حياتى من قبل ، ولكن دعينا نحاول أن نعرف !

ـ وكيف ذلك ؟!

ـ بأبسط الطرق المعروفة ..

ثم رفعت سبابتها فى وجهى ـ حتى كادت تفقأ عينى ! ـ متابعة كأنها تلقى بدرس فى وجه تلميذ بليد :

ـ لا أفضل من المباشرة ، إن نتائجها دومًا مرضية ..

وجذبتنى من يدى خلفها وهى تقترب فى خطوات واسعة

ـ كأنها قفزات (كنغر) ـ من (مروة) ومن معها حتى كدت أسقط على وجهى متعثرة فى أطراف ثوبى الفرعونى الطويل ، لكنى وجدت نفسى فى النهاية أقف خلفها وهى تقول قاطعة الحوار الذى كان دائرًا فى غيابنا :

ـ هل هذا حفل عيد ميلاد أم جنازة حاخام يهودى بالله عليك يا (مروة) ؟! ما كل هذه الشموع و ....

صمتت (شيماء) فى حركة تمثيلية مكشوفة ومفتعلة وهى تنظر نحو الفتاة فارعة الطول للحظة ، ثم ابتسمت قائلة :

ـ معذرة ، اسمى (شيماء) ، زميلة (مروة) فى كلية (الإعلام) !

ـ أهلاً ..

قالتها الفتاة هازة رأسها دون حتى أن تجشم نفسها عبء ابتسامة ، وعلى ضوء شمعة قريبة مهتزة الفتيل استطعت استبيان النذر اليسير من ملامحها ، الأنف الطويل ، الشفتين الرفيعتين ، الشعر القصير الخشن ، ودون إسهاب طويل فلم تكن جميلة بالمرة إذا أردتم رأيى فى النهاية .

حاولت (مروة) تقريب المسافات بيننا فتولت بنفسها مهمة تعريفنا إياها :

ـ (كناتة) ، زميلة أخى (أحمد) فى (هندسة) الجامعة الأمريكية ..

(كناتة) ؟! يا له من اسم عجيب !

والأعجب كان تنكرها فى زى (كليوباترا) على الطريقة الحديثة ، صحيح أن (كليوباترا) الشهيرة فى التاريخ لم تكن ترتدى بنطالاً من الجينز ، ولم يكن شعرها مصففًا على طريقة (الصبى) الفرنسية الشهيرة ، لكن الثعبان البلاستيكى الملتف حول رقبة (كناتة) دلنا على هوية التنكر العجيب هذا !

ـ ألا يبدو اسمك غريبًا بعض الشىء !

سألتها (شيماء) فى براءة محاولة أن تمد جسور التعارف معها ، لكن (كناتة) ـ التى بدت كأنها تعانى (الخلفة العصبية)(*) من فرط نحافتها ـ لم تشأ هذا على ما يبدو ، فإذا بها تقول فى ابتسامة كادت تقتلنى من فرط سماجتها :

(★) الخلفة العصبية Anorexia Nervosa : اضطراب سيكولوجى يصيب الفتيات فى فترة المراهقة ويتسم بفقد الشهية والعديد من الاضطرابات الفسيولوجية الأخرى مما ينجم عنه هزال عام ..

ـ نعم .. إنه كذلك !

أفحم الرد (شيماء) فصمتت وهى نادرًا ما تفعل ، وأشارت (مروة) إلىَ براحتها وهى تقول مقدمة إياى :

ـ (نسرين الجبالى) ، زميلتنا فى الكلية وكاتبة تحقيقات السيد (س) !

لم يكن هذا هو اسم التحقيقات على أية حال ، وليس دورى فيها مقتصر على دور (كاتبة) لكنه تقديم جيد برغم هذا !

ألقت (كناتة) نحوى بنظرة اشمئناط وهى تسأل :

ـ فى أى صحيفة تكتبين ؟!

أجبت فى زهو :

ـ (الأربعاء) ، إنها إحدى أكثر الصحف المستقلة انتشارًا ..

ـ عذرًا ، أنا لا أقرأ المطبوعات العربية إلا نادرًا ، وبالذات هذا النوع من الصحافة الصفراء يجعلنى أشعر بالغثيان !

هكذا ؟!

لقد بدأت أنتِ أيتها النحيفة فلاتلومنّ أحدًا إلا نفسك ، ولنر من منا أكثر استفزازًا من الأخرى !

ـ حذاء جميل ، مقاس (٣٨) أليس كذلك ؟!

أجابتنى فى تباه وهى ترفع قدمها حتى شاهدت النقوش أسفل حذائها :

ـ نعم ، لقد أحضرته من (سويسرا) ..

ـ لابد أنك كنت هناك منذ عامين على الأقل يا عزيزتى ، فصيحة الأخضر الفوسفورى قد انتهت عالميًا من وقتها !

تجمد وجهها ـ لاحظت ذلك برغم الظلام ـ حتى خلت أنها قد تنهال بصفعة فوق وجهى ، ملامحها الحادة وشت بذلك لا أقل ، عندما انبعث فجأة صوت (دى . جى) الحفل عبر السماعتين الضخمتين على خلفية الموسيقى الناعمة الحالمة :

ـ والآن أيها الحضور الأعزاء ، سيأخذ مضيفكم الموسيقى المسكين ـ الذى هو أنا ـ قليلاً من الراحة ، برغم أنى لم أتعب بعد ، لكنها أوامر (أحمد) صديقى العزيز الذى بيده أن يطعمنى ويطعمكم الليلة ، ولهذا فلن نناقشه ، وها هو ذا المذياع « اللفظ العربى الدقيق المترجم لكلمة مايكروفون » معه ، وسأعود إليكم بعد قليل ..

قال الفتى المتنكر فى هيئة (إلفيس بريسلى) هذا بلهجة تليق بطالب من طلبة الجامعة الأمريكية ، وفور انتهائه خلع السماعات الضخمة من فوق أذنيه ، وأسرع (أحمد) يلتقط منه المذياع لينفخ فيه نفخة جعلت أذنىَّ تصفران ، قبل أن يقول من خلاله :

ـ شكرًا (حسن) ، ولنطلق جميعًا يا رجال صيحة تحية لأفضل (دى . جى) فى العالم كله ، لا (القاهرة) وحدها ..

يستخدم الأمريكيون لفظة (رجال) أو (guys) لنداء الجماعة من ذكور أو إناث ، يبدو أن الرجال قوامون على النساء هناك أيضًا !

ـ يبدو أنكم جميعًا متشوقون لمعرفة المفاجأة التى صدعت رءوسكم بالحديث عنها ، ولابد أنكم تتساءلون عن سر دائرة المقاعد هذه التى أعددتها مع رهط من أصدقائى ، لا أخفيكم سرًا أنهم أيضًا لا يعلمون السر ، حتى يكون للمفاجأة وقعها الساحر على الجميع دون استثناءات ..

تعلقت أنظار الجميع ـ بما فيهم أنا ـ به وهو يتحدث بالعربية تارة وبالإنجليزية تارة ، وهى إنجليزية سهلة سلسة خالية من تعقيدات (شكسبير) اللغوية ومن سرعة

(ايدى ميرفى) الرهيبة فى الحديث كزنجى فى سلسلة أفلام (شرطى بيفرلى هيلز) !

ـ اسمحوا لى أولاً أن أهدى مفاجأتى هذه إلى شقيقتى الصغرى (مروة) مع عبارة (عيد ميلاد سعيد) ، وإلى خطيبتى (ميادة) مع عبارة (أحبك) !

تصاعد صفير وتصفيق الحاضرين وهم يرمقون الفتاة المتنكرة فى زى (سنو وايت) كما ظهرت فى فيلم (ديزنى) الكلاسيكى الشهير ، إنها (ميادة) زميلته فى الكلية وخطيبته منذ الصيف الماضى ، ولا أخفى عليكم أننى شعرت بشىء من الحسد يغزو مشاعرى ..

لا أعتقد أن (هشام) سيفعل هذا لى يومًا ما !

يا لحظك الحسن يا (ميادة) !!

ـ والآن ، ليتوجه السيد (راضى) زميلى العزيز ويتفضل بفتح باب الفيلا ..

اتجه الشاب المتنكر فى هيئة مسخ (فرانكشتين) الشهير ـ كما نتذكر مشهد الممثل (بوريس كارلوف) فى أوائل الثلاثينات ـ نحو الباب بالفعل ، بينما تابع (أحمد) :

ـ وليتفضل كل مدعوّ بالنفخ فى شعلة أقرب شمعة إليه ، وسيتولى ثانى أكسيد الكربون إطفاء النار ، سيجعل الظلام الأمر أكثر إثارة ..

سمعت صوت النفخ أكثر من مرة ، وفى نفس اللحظة التى انفتح فيها الباب مصدرًا التكة المميزة لمزلاجه ، ساد الظلام الدامس المخيف ، ووجدت نفسى أحتضن ذراع (شيماء) ـ الأقرب إلىّ ـ فى الظلام كأنى أحتمى بها من خطر خفى !

وكأننا فى بيت للأشباح أصدر الباب صريرًا مزعجًا ، و ..

ـ أيها السادة ، أقدم لكم مفاجأتى ..

★ ★ ★

على ضوء شمعة واحدة كانت تمسكها فى يدها رأيتها لأول مرة ..

متسربلة فى أردية الصمت والغموض والغرابة ..

كانت تقف خلف الباب المفتوح ، يتوهج ضوء مصباح الإنارة خارج سور الفيلا خلف كتفيها ، وتشع عيناها ببريق قوى كأنهما نهران من الفضة ، وينعكس تراقص لهب الشمعة

فى يدها على وجهها اللامع ، كأنها أشبعته دهنًا بالكريمات المرطبة ، ويزيدها طلاء الشفتين الداكن والكحل المرسوم حول العينين غموضًا فوق غموض ، وغرابة فوق غرابة ..

ـ رحبوا معى يا شباب بضيفتى ، (خلود) ..

لم يهلل ولم يصفق ولم يصفر أحد ، جميعنا كنا مشدودين نحوها بأعيننا كأنها نجحت ـ ربما دون حتى أن تدرى ـ فى تنويمنا مغناطيسيًا !

تقدمت عدة خطوات إلى الداخل ، هل رأى الشاعر الراحل (إبراهيم ناجى) مشية كهذه فكتب فى وصفها (واثق الخطوة يمشى ملكًا) ؟!

ثم بعد هذه الخطوات توقفت ، مع متابعة العيون المطلة نحوها فى الظلمة المخيمة ، لدرجة أننا لم ننتبه لصفق الباب من خلفها فى قوة كافية لخلع القلوب فى ظروف أخرى عادية ، ومع اقترابها استطعت تمييز ملابسها فى السواد المحيط ..

عباءة زرقاء طويلة تجرجرها خلفها على الأرض مزركشة

بنجوم ذهبية ، وطرطور فوق رأسها مزين بنفس النجوم ، فيما منحها بالفعل هيئة (عرافة) أو (منجمة) !

ولكن ؟!

هل هو محض تنكر موفق إلى حد لا يوصف ؟!

أم ..... ؟!

عاد صوت (أحمد) يدوى فى الصالة المظلمة :

ـ دعونى أعرفكم إياها ، إنها ....

رفعت كفها الأخرى الحرة غير الممسكة بالشمعة إلى أعلى ، فاهتز لهيب الشمعة بشدة ، ألقت بظلالها الشجية فوق الوجوه الدانية ، وبتر (أحمد) عبارته ..

ـ شكرًا ، (أحمد) ، دعنى أفعل هذا بنفسى ..

بدا صوتها عميقًا ، أنثويًا ، عذبًا ، أخاذًا ، آسرًا ، وبدت بسمتها بسيطة ، رقيقة ، غامضة ، ساحرة ، متألقة ، كل هذا مرة واحدة !

ثم إنها دارت بعينيها فى الأعين المحدقة إليها فى الظلام ، كأنها عيون ضباع تستعد للفتك بفريسة ، ثم قالت :

ـ اسمى كما أخبركم (أحمد) ، (خلود) ، قد أبدو صغيرة فى السن ، لكنكم قد تندهشون إذا عرفتم أننى جاوزت الثلاثين بعدة أعوام ..

هذا مدهش بالفعل ، إنها تبدو فى مثل عمرى تقريبًا !

ـ لعلكم تسائلون أنفسكم الآن عن سر قدومى الغريب كعجوز وسط شلة من الشباب ، كل ما أرجوه أن يكون فى وجودى بينكم الآن إضفاء لمذاق خاص على الحفل ربما ظللتم تتذكرونى به العمر كله ، ما بقى منه ، لقد جئت اليوم لأتعرفكم فردًا فردًا ، ليس هذا فحسب ، إنما أيضًا لأعرفكم أنفسكم ، لأضع كلاً منكم أمام مرآة لاتكذب ولاتعرف كيف تتجمل ، لأرسم لكل وجه يخفيه ستار الظلام عنى الآن صورة شخصية دقيقة لاتهمل أدق التفاصيل ، لأعرى أمام كل عين ذلك الجزء الكامن المستتر من أعماق صاحبها ، لأريكم من أنتم ، وكيف تستطيعون فعليًا أن تكونوا أنتم ، كل هذا من خلال المهنة الجليلة التى أحترفها ، وأعنى بها مهنة (التنجيم) !

هو ليس محض تنكر موفق إلى حد لايوصف إذن !

ولكن هل مازال هناك من يؤمن بهذا الهراء ونحن فى هذا العصر ؟!

يبدو أن همهمات الاستحسان الصادرة من حولى تحمل لى جوابًا واحدًا ..

نعم ، هناك البعض مازال يؤمن بهذا الهراء !

تحركت (خلود) فى خطواتها الواثقة البطيئة نحو دائرة المقاعد ، وقد عكس لها وهج الشمعة ظلاً عملاقًا فوق سقف الفيلا ، وإذا توقفت فى مركز الدائرة تمامًا ، رفعت كفها مرة أخرى ليتناثر الجميع فى الصمت ، وتشير هى للمقاعد الخالية من حولها لتقول وصوتها يمتلئ بالحماس كأنها على خشبة المسرح تواجه جماهير متعطشة لكل ما هو معروض :

ـ سيجلس الجميع الآن حولى فى ترتيب عشوائى ، ثم نبدأ لعبتنا ، ولعبتنا بلا رابح ولا خاسر ، إنها لعبة قديمة لكنها مازالت تثير التساؤلات والتخيلات ، وهى لعبة شائقة حقًا بيد أننا سنغير فى ملامحها قليلاً ..

ثم برقت عيناها كقطعة من الماس تحت ضوء الشمس ،

ولعل ذلك كان يفعل انعكاس ضوء الشمعة على زجاج عينيها الجريئتين ، وهى تضيف :

ـ سنلعب (الحقيقة أو الجرأة) على الطريقة التنجيمية !

★ ★ ★

٣

الحقيقة أو الجرأة (Truth or Dare) تعد أبسط أنواع (الروليت الروسى) وتعتمد على زجاجة خالية توضع على الأرض عرضيًا فى مركز دائرة من اللاعبين ، ويقوم أحد اللاعبين بإدارة الزجاجة حول محورها ، وعندما تتوقف تمامًا عن الدوران فإن رأسها سوف يشير إلى لاعب ، بينما قاعها سيشير إلى لاعب آخر ، سيكون على اللاعب الذى أشار إليه الرأس أن يخير الآخر الذى أشار إليه القاع بين الحقيقة والجرأة ، فإذا اختار الأولى تعين عليه أن يسأله الآخر سؤالاً ـ فى الغالب محرجًا ـ شريطة أن تكون الإجابة عنه بمنتهى الصراحة وبلاشىء سوى الحقيقة ، أما إذا اختار الثانية فعلى اللاعب الثانى أن يصدر عليه حكمًا لارجعة فيه ، وعليه تنفيذه أمام جميع اللاعبين مهما كان قاسيًا أو محرجًا ..

هذه هى فكرة اللعبة باختصار ، ولعل من شاهد فيلم (النظارة السوداء) عن رواية (إحسان عبد القدوس)

لـ (أحمـد مظهـر) و(نادية لطفى) يذكر شـيئًا كهـذا ، لكنـى طبعًا لا أعرف كيف يمكن أن تمـارس هـذه اللعبة البسيطة على الطريقة التنجيمية ..

إن (خلود) تعرف بالتأكيد !

* * *

هرع الجميع ـ يكاد يصدم بعضهم بعضًا فى الظلام ـ نحـو دائرة المقاعد وقد أغرتهم اللعبة حقًا من قبل أن يعرفوا كيف سيلعبونها ، كنت الوحيدة تقريبًا التى مشت فى بـطء خطوات متخاذلة نحو مقعد فى طـرف الـدائرة ، و (شيماء) على يمينى أحدَ من اندفاعها كالجميع حتى جلسنا معًا ..

سـخرت فى أعماقى ـ وأنا بعد فى الطريق ـ من سـباق (الكراسى الموسيقية) هذا ، ولاتنسوا رغبتى الدائمة فى العلوّ والسموّ فوق مستوى الأحداث التافهة ..

التنجيم !

صحيح أن الأمر قد أثار اهتمامى وجذب انتباهى واستفز حواسى ، لاأنكر هذا ، فما أنا إلا إنسـانة تستهويها سراديب الأسرار المظلمة ، خاصة بحكم حاستى الصحفية المتحفزة على الدوام ، لكن جزءًا ما فى أعمـاقى كان رافضًا للفكرة

من جذورها الضاربة فى تربة النصب والاحتيال والتلاعب بأحلام البسطاء المغفلين ونواياهم الطيبة وقلوبهم الناصعة البياض !

ولن (أتفلحس) وأردد كأننى حكيمة زمـانى وعصرى وأوانى : (كذب المنجمون ولو صدقوا) ، لكنى سـأردد كأى فتاة تملك عقلية متحضرة وخلفية جدليـة واسعة (أفلحت إن صدقت) !

وها هـى ذى تقف مغمضـة العينين فـى مركز الدائـرة كأنهـا تستجدى القوى الكونيـة لمؤازرتهـا وإسباغ رضاها عليها ، فى انتظار (أحمد) الذى لابد أنه يتخبط الآن فـى ظلام المطبخ بحثًا عن زجاجة فارغة لبدء اللعبة ..

ـ هاى !

فوجئـت بـالفتى الجـالس علـى يسـارى يمـد يده نحـوى طالبًا المصافحة ..

ـ .... اسـمى (رامـى) .. أدرس إدارة الأعمـال فـى الـ (إيه ـ يو ـ سى) !

مددت يدى وأنا انظر إلى قناع مسخ (فرانكنشتين) الذى يغطى وجهه ..

مددت يدى وأنا انظر إلى قنـاع مسـخ (فرانكنشتين) الـذى يغطـى وجهـه ، والـذى بـدا مفزعًـا بحـق فـى الظـلام الكئيب وضـوء الشـمعة الوحيـدة المتواضع والأكثر كآبة ، وعرفت نفسى بكلمة واحدة :

ـ (نسرين) !

رفع قناعه لتطالعنى من خلفـه ملامـح وجـه مـن النـوع المـألوف الـذى تشـعر بأنـه لأخ أو صديـق حميـم ، وحتـى صوته كان دافئًا وهو يسأل :

ـ هل تؤمنين بهذه الأشياء ؟!

هززت رأسى نفيًـا ، وكـدت أكتفـى بهـذه الإجابـة لكنـى وجدتها تعد نوعًا من قلة الذوق وعدم الكياسة خاصـة مـع شخص أحادثه لأول مرة ، فتبعتها بقول كلمة واحدة :

ـ كـلا !

هذا أفضل من لا شىء على كل حال ..

ـ لقد قرأت كثيرًا عن الأبراج الشمسية وأسرار التنجيم الفلكى لكنى لم أصل بعد لنتيجة ترضى نوازعى الداخلية !

قالها متبسطًا فى الحديث معى كأننـا على معرفـة سـابقة ،

بل وعميقة ، وهذا النمط من الناس قد تخشاه للوهلة الأولى ، لكنك ستجد نفسك متواصلاً معه لو كان يحمل بساطة وهدوء ورصانة (رامى) ..

ـ إننى أجده موضوعًا صالحًا للتسلية وإزجاء الوقت ليس أكثر ..

ـ لو سمعتك زميلة لنا تدعى (كنانة) لهاجمت رأيك بشدة ، أعتقد أنك رأيتها بالفعل ، تلك المتنكرة فى زى (كليوباترا) السيريالى !

حمدًا للّه على أن الظلام يخفى وجهها عنى ، لست فى حاجة للمزيد من الاكتئاب ..

ـ نعم رأيتها وحادثتها !

ـ إنها من أكثر المؤيدين والمصدقين بوجود هذه الظواهر الخارقة الخارجة عن المألوف ، بداية من سكان الكواكب الأخرى الزائرين لنا فى الأجسام الطائرة المجهولة الهوية ، وانتهاءً بعلم التنجيم وكيف تؤثر حركة الأجرام السماوية على سلوك كافة المخلوقات !

ـ دعها تحاول أن تثبت فعليًا أيًا من هذا الهراء إذن ..

أحيانًا أكون صريحة أكثر من اللازم ، لكن ليس إلى حد الندم فى كل مرة ..

عند هذا الحد من الحديث ظهر (أحمد) مخترقًا الدائرة وهو يمسك بزجاجة مياه فارغة ـ يبدو أنه أفرغها خصيصًا ـ راتيًا نحو (خلود) التى بدا وكأنها ذهبت لتأكل أرزًا باللبن مع القوى الكونية ، إذ طال إغماضها حقًا كأنها نامت واقفة !

ـ الزجاجة المطلوبة ..

قالها (أحمد) ففتحت (خلود) عينيها والتقطتها منه ، وشكرته فعاد لمقعده ، بينما رفعت الزجاجة أمامنا هاتفة :

ـ الآن نبدأ يا أحبائى ، ستدور الزجاجة حتى تقف ، ومن يقع عنده رأسها سيكون لى ، سأخيّره بين الماضى والمستقبل ، إما أن أخبره بماضيه أو أن أستشرف له مستقبله ، له فى هذا مطلق الحرية ..

ثم إنها ركعت حتى مست ركبتاها الأرض ، ووضعت الزجاجة ليوازى محورها الطولى الأرض ، ثم ثبتت الشمعة أمامها ، وثبتت الزجاجة بأصابعها فوق الأرض السيراميكية وهى تقول :

ـ ستحدد الزجاجة الآن لنا من نبدأ به ، وسأكون دومًا عند القاع !

ثم أدارتها مع خفقان القلوب جميعًا ..

بما فيهم قلبى أنا !

★ ★ ★

ـ أنتِ !

أشار رأس الزجاجة ـ أول ما أشار ـ إلى (ميادة) فى زى (سنو وايت) ، لقد وقع الاختيار عليها إذن .. وها هى ذى ملامحها تجمد هنيهة قبل أن تنهض فى بطء وتتجه نحو (خلود) لتقف فى مواجهتها تمامًا ..

أخذت (خلود) نفسًا عميقًا ثم حدقت فى عينى (ميادة) قبل أن تسألها :

ـ الماضى أم المستقبل ؟!

أجابت (ميادة) بلاتفكير :

ـ المستقبل !

توقعت هذا ، إنها تسأل عما لاتعرفه ، لقد سيطرت عليها (خلود) بقوة الإيحاء ، وهكذا ملكت زمام الأمور فى يدها تمامًا ..

ـ ما اسمكِ ؟!

سألتها (خلود) ، فأجابت على الفور وبلا تفكير أيضًا :

ـ (ميادة) ..

ودوى صوت (نائل) ـ الذى تعرفته فى الظلام جيدًا ـ من حيث لم أعلم أين :

ـ ولماذا لم تخبرك قدراتك التنجيمية الخارقة باسمها دون سؤال ؟!

حمل السؤال قدرًا لابأس به من الخبث والسخرية الدفينة ، لكن (خلود) لم تأبه وأجابت فى ثقة لاحدود لها دون حتى أن تلتفت نحو السائل :

ـ إن علم التنجيم مبنى على استنباط معلومات كثيرة لاحصر لها على ضوء معلومات قليلة وتافهة ، قد لاتهم أحدًا وقد لايلتفت نحوها إنسان ..

ثم سألت (ميادة) عن تاريخ ميلادها ، فأعطتها إياه ، واعذرونى إذ لست فى حل من ذكره دون استئذانها شخصيًا !

المهم أنها كانت من مواليد برج (الجوزاء) ، وهكذا توقعت

أن تشرع (خلود) فى هراء المنجمين المعروف على غرار أن أبنـاء هـذا البرج يعشقون الحياة ، ويتمتعون بروح مرحة ، ويفضلون أكل (البسطرمة) على الإفطار كل صباح ، لكنهم يكرهون الحياة أحيانًا وهم ثقلاء الظل غالبًا ، وبعضهم يفضل (اللانشون) وحبذا لو كان بالزيتون !

لكن (خلود) لم تفعل ، وإنما أمسكت بكف (ميادة) وأمعنت فيه النظر لفترة غير قصيرة ، ودون أن يتبدى على وجهها أى انفعال قالت فى النهاية :

ـ أنت خطيبة (أحمد) ، أليس كذلك ؟!

هذا سهل ، إن الدبلة تلمع فى بنصرها الأيمن ، ثم إن (أحمد) هو الذى أتى بها وربما يكون قد أخبرها بهذا .. كل شىء وارد !

ـ بلى ...

ـ ستعيشان حياة سعيدة يسودها الود والسلام والوئام ..

ابتسمت (ميادة) فى تحضر وهى تسأل مدارية وجنتيها المضرجتين بالأحمرار :

ـ حقًا ؟!

ـ والدك ووالدتك منفصلان .. هل أنا محقة ؟!

ترددت (ميادة) للحظة قبل أن تجيب :

ـ نعم ..

سرت همهمات دهشة ، أنا الوحيدة التى لم يساورنى هذا الشعور ، إذ لم أجده سوى سؤال عادى كان من الممكن أن تكون إجابته (لا) ، صحيح أننا جميعًا كنا نجهل هذه المعلومة ـ باستثناء (أحمد) طبعًا ـ ولكن لهذا وجد ما يسمى بعلم الفراسة !

ثم لِمَ لايكون (أحمد) قد أخبرها بهذا أيضًا ؟!

ـ لاتخشى شيئًا ، لن يتزوج والدك بأخرى !

هذا يؤكد ظنى الأخير ، لقد فعلها (أحمد) ليطمئن خطيبته ، لاشك لدى فى هذا !

ـ أريد أن أصارحك أيضًا أن رقم (٢) سيحمل لك خطرًا ما ..

قطبت (ميادة) وهى تسألها :

ـ خطر ؟! أى خطر ؟!

ـ لا أدرىٰ ، ليس هـذا واضحًا فى كفك على كل حال ، ولكن لايبدو خطرًا جسيمًا ..

ثم إنها حدقت فى عينى (ميادة) من جديد وهى تترك كفها لتسألها :

ـ هل لديك أسئلة ما فى أى شأن تريدين ؟!

صمتت (ميادة) للحظـة ، لم تكن تنتظر سؤالاً كهذا فأجابت :

ـ لا ..

ـ التـالى إذن ..

عـادت (ميـادة) نحـو مقعدهـا ، ودارت الزجاجـة مـن جديد ..

★ ★ ★

(... أما (أدولف هتلر) فقد كان يتلمس طريقه نحو المائدة العامرة بأصناف الحلوى والطعام ..)

ـ أنت ..

أشارت (خلود) إلى (رءوف كساب) هذه المرة ، وهو المتنكر فى ملامح النازى الشهير بشاربه المربع الصغير تحت

أنفه وبزته العسكرية ـ التى بدت أشبه ببذلة الضابط التى يُصر كل طفل على شرائها فى العيد ـ والشريط الأحمر المربوط فـوق ذراعـه الأيسر والمرسوم فوقه ـ بقلم فلوماستر ـ الصليب المعقوف ..

و (رءوف كساب) ـ لمن لايعرف ـ معيد حديث التخرج فى قسم (الإعلان) بكليتنا ، وهو قريب للغاية من مجموعتنا ويتبرع كثيرًا بشرح مايستعصى علينا فهمه وتحصيله فى مادة (الإعلان) دون مقابل ، برغم ظروفه المادية المتواضعة ، كما يظهر فى ملابسه وتنقله فى أوتوبيسات (النقل العام) ، وأخلاقه الرفيعة ـ التى تعد عملة نادرة فى هـذا الزمن الشره ـ هى التى جعلت (مروة) تدعوه بالذات من بين أعضاء هيئـة التدريس جميعًا لحضور حفل عيد ميلادها ، خاصة أنه من الأرياف ويعيش وحيدًا بلا ونيس أو شريك ..

حدق (رءوف) فى الظلام بعينين متسعتين فى (خلود) ، قبل أن يسأل بلهجته الريفية المحببة :

ـ أنـا ؟!

هزت (خلود) رأسها بالإيجاب ، فنهض متجهًا نحوهـا وخطوات حذائه القديم تدب فوق السيراميك ، بينما سألته هى :

ـ الماضى أم المستقبل ؟

بتلقائية أجاب :

ـ كما تحبين !

سرت ضحكات جانبية خافتة بين الجالسين ، شعرت نحوها بالمرارة والحنق ، إنه يتصرف على فطرته ويتكلم باللهجة التى تربى عليها ، فعلام تتضاحكون أيها الأوغاد ؟! هذا رجل لم تلوثه المدنية بعد ، نقى السريرة كأنه قديس !

ـ إنك تبدو أكبر الحاضرين هنا ، هل أنت (شرقاوى) ؟!

ماذا كنت أخبركم عن علم الفراسة ؟!

ـ أجل ، من (ههيا) !

حدقت (خلود) فى عينيه ، ثم قالت بنبرة عميقة جذبت بها انتباه الجميع :

ـ إن الطاقة المشعة منك تتصادم باستمرار مع تلك الصادرة من شخص آخر موجود معنا ها هنا ، إن أحدًا منكما لا يطيق أنفاس الآخر على الأرض لو صح التعبير ..

ثم إنها رفعت كفه لتنظر فى راحته متابعة :

ـ ولو أردنا مزيدًا من الدقة البلاغية ، فهو يتمنى أن يقتلك !

ازدرد (رءوف) ريقه فى صوت مسموع ، وعكس لهب الشمعة المتراقص فوق الأرضية تلك النظرة الجانبية التى رمق بها أحد الجالسين فى الدائرة ، وهو يرفع كفه ليلامس عنقه بأصابعه ، سائلاً إياها فى غمغمة وجلة :

ـ صحيح ؟!

بصراحة ـ لكى أكون موضوعية ـ لقد بدأ الأمر يصبح شيقًا ..

إن من يعرفون (رءوف) من الجالسين مثلى يعرفون أيضًا تلك العداوة المتأصلة بينه وبين (تامر فوزى) ـ المتنكر فى عباءة (راسبوتين) والمرموق بالنظرة الجانبية المذكورة ـ والمكفهر الوجه الآن ، فـ (تامر) يعيد عامه النهائى معنا فى الكلية(*) بسبب مادة (الإعلان) ، وهو يقسم أمام الكل أنه أدى امتحانه وأعد مشروعه فيها بما يؤهله للنجاح وبتقدير مرتفع أيضًا ، وهو يُرجع الـ (ض . ج) التى زينت نتيجته النهائية آخر العام لـ (رءوفٌ) ..

(*) أظن أنى أخبرتكم عن أمر كهذا فى الرواية السابقة !

ـ هو وحده المسئول عن ذلك دون غيره ..

هكذا سيقول (تامر) ، ولو سألته عن السبب لأجابك بكلمة واحدة :

ـ (استقصاد) !

ولطلب منك أن تتذكر ذلك الشجار الذى دب بينهما أول العام الماضى بسبب نقاش محتدم حول نقطة عابرة فى إحدى المحاضرات ، وقد تطور الأمر إلى الحد الذى عيّر فيه (تامر) (رءوف) بفقره وسذاجته الريفية ، وبادله (رءوف) التعيير بكون والده تاجر مخدرات ومحدث نعمة !

صحيح أن الأمر انتهى فى مكتب عميد الكلية بحضور قائد الحرس وديًا ودون مجالس تأديبية ، لكن (تامر) أصر على أن الأمر لم ينته بالنسبة لـ (رءوف) ، وأنه ـ (رءوف) ـ قد وضعه فى (دماغه) وبذل مجهودات خرافية بالتعاون مع زملائه فى (الكونترول) لجعله يدفع الثمن ، وهو ما تحقق فى نتيجة آخر العام ..

طبعًا لم يسق (تامر) أية أدلة على ما قال ، وها هو ذا يعيد العام بناءً على رسوب بين ، لكن العلاقات ظلت متوترة بين الطرفين من وقتها ..

هل كانت (خلود) على معرفة مسبقة بكل هذا ؟!

أم هو علم الفراسة مرة أخرى ؟!

أنا شخصيًا لست أدرى !

هزت (خلود) كتفيها وأضافت بنفس اللهجة العميقة :

ـ أنت أيضًا تتمنى نفس الشىء ، إنكما قطبان متشابهان ، والأقطاب المتشابهة تتنافر دائمًا ..

ـ لكنها لا تقتل بعضها بعضًا يا سيدتى !

قالها (تامر) من مجلسه وقد أدرك أن الجميع قد فهموا التلميح إليه خاصة مع نظرة (رءوف) ، فالتفتت (خلود) نحوه سائلة :

ـ إنك تتبع برج (الثور) ، أليس كذلك ؟!

أجابها (تامر) متهكمًا :

ـ هل يبدو صوتى كالخوار ؟! أم أن القرون فى رأسى بارزة إلى هذا الحد ؟!

اعتبرت (خلود) هذه إجابة ضمنية بـ (نعم) ، فسألت (رءوف) :

ـ وأنت أيضًا ؟!

ـ وأنا أيضًا ماذا ؟!

ـ تتبع برج (الثور) ؟!

هز (رءوف) رأسه بالموافقة ، فابتسمت (خلود) مغمغة :

ـ لقد توقعت هذا ، إن الثيران تتناطح دائمًا ..

ثم إن بسمتها اتسعت وهى تضيف :

ـ لكن العلاقة تنتهى دومًا برابطة ود وصداقة متينة وحميمة !

يا للكلام الفارغ !

ولكن من سيستطيع تكذيبها ؟!

من سيكون هناك عندما يعيش (أحمد) و(ميادة) فى سلام ووئام ، وعندما يصبح (تامر) و(رءوف) صديقين ؟! ومن سيلوم صاحبتنا إذا حدث العكس وطلبت (ميادة) يومًا ما الطلاق من (أحمد) فلجأ الأخير لطلبها فى بيت الطاعة ؟! أو اشتبك (تامر) و(رءوف) بالأيدى فى أثناء إحدى مشاداتهما ؟!

بل من سيذكر وقتها ما يقال اليوم أصلاً ؟!

عادت اللعبة تبدو سخيفة ، ادعاء فى ادعاء ، وعادت الزجاجة تدور من جديد ..

★ ★ ★

عندما أشار رأس الزجاجة نحو (كناتة) ، اتسعت عيناها فرحًا أو فرقًا ـ لست أدرى تحديدًا ـ ونهضت على الفور ..

ـ الماضى أم المستقبل ؟!

ـ المستقبل أعتقد ..

نطقتها (كناتة) بإنجليزية أمريكية قميئة وهى تلهث من فرط الإثارة ، وكأنها بين يدى (نوستراداموس) ملك النبوءات شخصيًا !

سألتها (خلود) عن اسمها وتاريخ مولدها ، ثم قالت بلهجة تفوح بعبق الغموض :

ـ لقد خمنت منذ البداية أنك تتبعين برج (الأسد) ، إنه برج خاص جدًا ، إذ تحكمه الشمس بذاتها ، عروس النجوم ..

وبرقت عيناها كقطة فى الظلام وهى تتابع :

ـ ولأنك تمثلين الشمس فى هذه الدائرة ، فأنت مركزها ، قلبها النابض بالحيوية والأليق ، سوف تعيشين حياتك المليئة بالسعادة الزائفة ، مستمتعة بكل لحظة تمر فيها دون أن تعى أن القدر قد اصطفاك لمهمة جليلة ..

سألتها (كنانة) ولهاثها يتزايد :

ـ أية مهمة ؟!

ـ سوف تعيشين اللحظة بكل نشوتها ، لتستيقظى فى النهاية على جرس الرحيل إلى الشمس ، ولن يفوتك القطار أبدًا ، إنه دائمًا ينتظر ..

بدأت (خلود) تهذى ، هكذا فكرت لحظتها ..

ـ إن رقم برجك كما تقول خرائط التنجيم هو (٣) ، موعدك هناك يا صغيرتى ، مع الرقم (٣) بالذات !

* * *

بابتسامته الساخرة تحت شاربه الأسود المستكين تحت أنفه فى وداعة وقف (نائل) أمام (خلود) عاقدًا ساعديه ، ناظرًا إليها فى استخفاف وهى تسأله :

ـ الماضى أم المستقبل ؟!

ـ ماذا عن الحاضر ؟!

سألها فى لهجة وشت بحطه من قدر كل هذا الذى يجرى ، فقالت فى ثقة :

ـ لك هذا ..

ثم إنها سألته كالمعتاد عن اسمه وتاريخ مولده ، فأبرز (نائل) بطاقته الشخصية من جيب زيه التنكرى وشرع يقرأ منها اسمه الرباعى وتاريخ مولده مع الهمهمات الجانبية الضاحكة من الجالسين جميعًا ..

نسيت أن أخبركم أن (نائل) زميلنا يعشق التمثيل الكوميدى ، لكنه مع هذا يمارس رياضة كمال الأجسام فى إحدى صالات الألعاب الرياضية الشهيرة ـ كما يظهر هذا جليًا فى عضلاته المفتولة وضخامة صدره ـ إذ ينوى استغلال هذا مع وسامته النسبية فى أن يصبح يومًا (موديل) إعلانات ، أو (جان) ـ أى فتى أول ـ كخليفة لـ (أحمد رمزى) و(رشدى أباظة) ..

إنها أحلام طالب فى كلية (الإعلام) يعلم أن الصحافة لن تطعمه خبزًا جافًا بعد التخرج !

ـ تبدو مرحًا للغاية مقارنة بمولود لبرج (الميزان) !

قالتها (خلود) فى ثبات ، فقال مواصلاً استخفافه بالأمر :

ـ لقد تقدمت بطلب رسمى بنقلى إلى برج (بيزا) المائل ، لكنهم رفضوا الفكرة من أساسها قائلين إن المشرحة لاينقصها المزيد من الجثث !

ـ أنت صاحب إرادة قوية ، مثابر وطموح ، ولكن احذر ..

ـ مم أحذر ؟!

ـ إن شخصًا ما فى هذه الدائرة ينقش بأظفاره فوق صخرة الغروب اسمك ..

ـ ماذا تعنين ؟! ومن هذا الذى تتحدثين عنه ؟!

سألها (نائل) مقطبًا فى جدية وقد تخلى عن مرحه ، لكنها قالت :

ـ هذا كل ما لدى عن الحاضر ، أنت الذى طلبت وأنا أجبت ..

ـ لكنى لم أفهم شيئًا ..

ـ ليس لدى المزيد ، كان الأمر سيتضح أكثر لو أنك طلبت استقراء المستقبل .. ثم إنها هبطت مستندة على ركبيتها فوق الأرض ، لتدير الزجاجة من جديد ..

★ ★ ★

أخذت الزجاجة تدور وتدور وتدور .. وازداد حماس اللاعبين وشغفهم بعبارات (خلود) التى فسرها كل منهم كيف شاء ، بينما لم أجدها أنا سوى سخافات لاتختلف عما يُكتب فى أعمدة (البخت) اليومية أو الأسبوعية إلا فى كونها منطوقة على ضوء شمعة ترتجف ذبالتها فى الظلام ..

أعترف أننى ـ مثل غالبية الناس إن لم يكن كلهم ـ لا أفوّت قراءة الصحيفة الصباحية دون العروج على باب الأبراج ، لكن هذا ليس معناه أننى أومن فعليًا بمصداقيتها ، إنه مجرد استلهام لبعض الحظ الحسن حتى أستعين به على مصائب اليوم وكوارثه ..

يا للملل !

شردت بفكرى لحظات ، كنت أفكر فى النهوض معتذرة عن الاستمرار فى هذا الهزل عندما انتبهت فجأة إلى صوت (خلود) يهتف بنبرة متوسطة العلو :

ـ أنتِ أيتها الشاردة ، إنه دورك !

نظرت حولى فوجدت العيون متجهة إلىّ ، ونظرت إلى المنتصف فوجدت أن ما أخشاه قد حدث ، لقد كان رأس الزجاجة يشير نحوى أنا !

★ ★ ★

٤

لم أجد مفرًا من النهوض ، لكنى فعلتها بتثاقل شديد ، ولم أخف إلى المنتصف كما فعل الباقون ، وإنما تسمرت فى وقفتى كالذاهلة ..

ـ ماذا بك ؟! ألا تنوين المشاركة ؟!

سألتنى (خلود) ، فصمتُ للحظة استجمعت فيها بعض الكلمات اللاذعة لأقولها :

ـ أولاً : أنا لا أومن بهذا التهريج ، وثانيًا : أجد لعبتكم هذه فى منتهى السخافة !

تجاهلت النظرات المفعمة بالاستنكار والاستهجان فى عيون الجالسين ، وحدقت فى (خلود) وهى تسألنى :

ـ ما اسمك ؟!

سألتها بدوى فى تحدّ :

ـ وهل هذا ضرورى ؟!

وتبرعت (شيماء) بدفعى إلى الأمام هاتفة بى :

ـ هيا يا (نسرين) ، اذهبى إليها فلن تخسرى شيئًا !

وعلت همهمات الاستنكار التى دلتنى على رؤية الجميع لى كهاوية للخروج عن القواعد حبًا فى الظهور والتظاهر ، فاضطررت للسير كارهة نحو المنتصف و (خلود) تقول فى لهجتها ذات (الكاريزما) الخاصة جدًا :

ـ (نسرين) ! إن اسمك وحده ـ تطبيقًا لعلم الأرقام الذى هو فرع من فروع علم التنجيم ـ نستطيع الاستدلال منه على قوة شخصيتك وشدة شكيمتك وتمتعك بذهن صاف وقوة تركيز عالية ..

وقفت فى مواجهتها تمامًا ليضىء نور الشمعة القدر اليسير من ملامحى ولأقول لها فى لهجة قاسية :

ـ ألم يدلك أيضًا على نظرتى لك كواحدة تستخف بعقولنا جميعًا ؟!

وجدتها تقول فى هدوء دون أن تفارقها بسمتها المشبعة بالغموض :

ـ أخبرينى تاريخ ميلادك ، ودعينى أحاول أن أثبت لك العكس ..

أخبرتها به ، ولتعذرونى يا أصدقائى هذه المرة أيضًا إذ أحب أن أحتفظ به سرًا لنفسى كنوع من التطير غير المفهوم !

ـ (القوس) ، كما توقعت تمامًا !

منتهى الاحتيال والاستهانة بعقلى وعقول الجالسين كلهم !

ـ إنه أحد الشارات النارية الثلاث (القوس ، الحمل ، الأسد) ، ويتصف تابعه بالمباشرة فى القول إلى حد إيذاء شعور الآخرين ، لكن ذلك يتم بنية حسنة فى كل مرة ، إذ يود لو يكون الآخرون صريحين مثله !

قلت بابتسامة جانبية جعلتنى أشبه مرضى الشلل الرعاش :

ـ أستطيع أن أبتاع كتابًا مهترئًا غلافه من فوق أحد الأرصفة لأعرف كل هذا أو أكثر !

نظرت فى عينى وهى تقول :

ـ اختارى أولاً ، الماضى أم المستقبل ؟

الجميع يختارون المستقبل ، إذ تفضل طبيعتهم البشرية أن يعرفوا ما لا يعرفون عن أن يعرفوا ما يعرفونه بالفعل ، لكنى سآخذ الأمر من وجهة نظر أخرى ، إنها تستطيع أن تزيف حقائق المستقبل كما تريد ، فهو لم يحدث بعد ، أما الماضى فسيكشف كذبها فلن تستطيع أن تدعى فيه شيئًا !

كنت الوحيدة تقريبًا التى قالت :

ـ الماضى !

لم أنتبه لرد فعل من حولى ، فقد التقطت (خلود) كفى على الفور ، ثم رسمت التجهم فوق وجهها لتقول بعد فاصل قصير من الصمت :

ـ يتيمة أنتِ !

أوقفت حاجبىّ بصعوبة فى منتصف طريقهما للارتفاع اندهاشًا ، وتابعت هى :

ـ فقدت أحد أبويك فى ظروف ما زال يلفها سر ما !

سأروى لكم الكثير عن فقدى لأمى وعن السر الذى يطاردنى فى مسألة وفاتها المبكرة فى مغامرتى مع (إخوة الدم) ، لكن السؤال الآن هو كيف عرفت هذه المرأة ؟!

إن هذه المغامرة بالذات لم تنشر !

سألتها فى مكابرة :

ـ من أخبرك بهذا ؟!

رفعت عينيها إلىّ لتجيب عن سؤالى بسؤال آخر :

ـ وهل أعرف هنا من يملك إخبارى بأمر كهذا ؟!

لا أدرى إن كان (أحمد) على علم بهذا الأمر أم لا ، لكن كل شىء وارد كما أسلفت ..

عادت (خلود) تحملق فى كفى وتتابع :

ـ هناك سر ما فى حياتك ، حلقة غامضة مفقودة تحيط بعنقك ، وهى أقرب إليك من حبل الوريد لكنك لا تستطيعين رؤيتها ..

هل تقصد السيد (س) ؟!

ـ لكنك ستعرفينه فى يوم ما ، ربما تجلى لك فى حلم عابر ، وربما انشقت عنه أسطورة الوجود بمعجزة فى زمن آت !

كيف عرفت أنه يزورنى فى أحلامى ؟!

كلا .. لن تسيطر علىّ بقوة الإيحاء كما فعلت بالآخرين ..

لن تفعل أبدًا !

وفجأة ، وقبل أن أنطق بشىء ما ، انعقد حاجباها لتغمغم فى توجس :

ـ ما هذا ؟!!

هى ممثلة محترفة استطاع أداؤها المتميز أن يؤثر فىَ أنا شخصيًا ، أو أن فى الأمر كارثة محققة ظهرت أماراتها جلية فوق وجهها ، ولا خيار ثالثًا !

ـ ماذا هناك ؟!

سألتها أنا محاولة الحفاظ على نبرتى المتأرجحة بين الإيمان والشك ، فانعقد حاجباها أكثر وهى تجيبنى فى سرعة :

ـ متاعب !

ثم رفعت عينيها إلىَ مرة أخرى وهى تضيف :

ـ أرى متاعب لا حصر لها !

ـ هذا طبيعى ، إنهم يسمون مهنتى (البحث عن المتاعب) !

عادت تنظر للتاريخ والمنحنيات فوق باطن كفى ، رادة فى سرعة :

ـ كلا .. كلا .. ليست متاعب مهنية .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟!

ـ الرقم (٥) ، هل يعنى لكِ شيئًا محددًا ؟!

ـ إنها تميمة شعبية شهيرة ضد عين الحسود !

تجاهلت رنة السخرية المتهكمة فى عبارتى ، وتابعت كأنها لم تسمعنى :

ـ طبقًا لما يبوح به كفك ، فهو رقم فى غاية الخطورة ، ربما حمل لك النهاية نفسها !

ـ أية نهاية تقصدين ؟!

ـ نهاية وجودك فى دنيا الأحياء !

سأل أحد الجالسين :

ـ تعنين فى شهر (مايو) القادم مثلا ؟!

وتبعه آخر :

ـ ربما بعد خمس سنوات !

وعلق ثالث :

ـ ربما فى الساعة الخامسة من فجر اليوم !

وهتفت أنا فى تحد سافر للجميع :

ـ وربما بعد خمسة قرون ، من منكم يستطيع الانتظار ليتحرى النتيجة بنفسه ؟! من ؟! أنا آسفة حقًا لكنى أرفض الاستمرار فى هذه المهزلة ..

أحسست أن النظرات الموجهة إلىّ قد استحالت سهامًا مرشوقة فى صدرى ، مسمومة باتهامات السخف والجنون والتجنى ، ورأيت (مروة) ـ من مجلسها فى الدائرة ـ تقول فى هدوئها البسيط وبساطتها الهادئة :

ـ إنها محض لعبة ليس أكثر يا (نسرين) !

اكتسب هتافى نبرة أحد وأعلى وأنا أقول :

ـ ما يحدث هنا دجل وشعوذة وهرطقة ، مضيعة للوقت لو أردت منح الأمر اصطلاحًا مهذبًا ، ومزاجى للأسف لايتفق مع كل هذا ، لذا فلتسمحوا لى بالانسحاب من دائرتكم هذه فى هدوء ..

ولكى أنفض عن نفسى عار إفساد حفل عيد ميلاد صديقتى قلت فى النهاية :

ـ عيد ميلاد سعيد يا (مروة) ، أراك فى الكلية غدا .. إلى اللقاء ..

واتسحبت بكل أنفه وشموخ وشمم ، تشيعنى نظرات اتفقت جميعها على أن ترمينى باستنكار خفى لموقفى الحادّ ..

وغير المفهوم بالمرة !

* * *

لماذا كنت أشعر بهذا القدر المهول من الضيق كأننى غارقة فى محيط منه ؟!

هل لأن الجميع بلا استثناء ـ بما فيهم (مروة) التى دعتنى بنفسها ـ تركونى هكذا أمضى بكل سلبية دون أن يحاول أحدهم ـ مجرد محاولة ـ مناشدتى البقاء ولو على سبيل المجاملة ؟!

هل كان موقفى غريبًا لتلك الدرجة التى عقدت ألسنة الجميع وكبلت حركتهم فلم يسع أحدهم خلفى لاستبقائى ؟!

أم أنهم تنفسوا الصعداء جميعًا إذ تخلصوا ممن أفسد عليهم جو الحفل السار ، وحمدوا الله كثيرًا على ذهاب تلك الصحفية الكئيبة المتعجرفة بغير رجعة ؟!

الله وحده أعلم !

لقد أنقذنى هاتفى المحمول ـ تعيش التكنولوجيا الحديثة ـ

من الوقوف وحيدة بملابسى الفرعونية فى الشارع مدة طويلة ، إذ هاتفت (هشام) من خلاله فكان لدى فى دقائق ليعود بى إلى المنزل ..

ولدهشتى العميقة وجدت سيارة أبى تربض أمام البناية ، ولدهشتى الأعمق وجدته بشحمه ولحمه جالسًا أمام التلفزيون فى غرفة الجلوس ، ولأنها من المرات النادرة التى أعود فيها للمنزل فأجده ، لم أجد تعبيرًا عن فرحى أكثر من الارتماء فى أحضانه كأننى طفلة فى الرابعة ..

ـ قل لى إنك ستهبط للمستشفى بعد قليل حتى أنتحر !

قلتها له فى طفولة لا أجدها إلا بين ذراعيه ، فمسح فوق شعرى بأصابعه الحانية وهو يقول باسمًا :

ـ لن أفعل إذ أعددت لنا عشاءً يستحق !

قلت فى غير تصديق :

ـ هل ستقضى ليلتك هنا إذن ؟!

هز رأسه بالإيجاب ، فصحت فى حبور ، ثم قلت :

ـ دعنى إذن أثبت لك أنك أنجبت أفضل طاهية على مر العصور ..

تشاغلت عن ضيقى بتحضير العشاء الفاخر احتفالاً بأبى ، وبتناوله معه ونحن نشاهد فيلمًا معروضًا على إحدى القنوات الفضائية ، هو فيلم (سبعة) الذى سمعت عنه الليلة فى الحفل ، لكنى لم أكن شاهدته من قبل ..

استغرقنى الفيلم تمامًا ، أعجبتنى قصته عن القاتل المتسلسل الذى اعتبر نفسه سيفًا للقدر ، فأراد أن يقتل سبعة ضحايا ليوازى بهم السبع خطايا المهلكة التى صورها (دانتى) فى جحيم الكوميديا الإلهية ، وهى (الجشع) ـ (الرغبة) ـ (الشراهة) ـ (الحسد) ـ (الكبرياء) ـ (الكسل) ـ (الغضب) بلا ترتيب ..

لكن ما شاهدت لم يزحزح موقفى من قضية القتلة المتسلسلين ، واعتبارهم خدعة غربية كبيرة يريدون بها الضحك على ذقوننا ، فهذه النظرية برغم غرابتها تروق لى كثيرًا حتى لو اعتبرها الكثيرون سفسطة لاطائل من ورائها ..

أنا حرة !

رن الجرس فى حوالى الحادية عشرة مساءً جرس الهاتف بالطبع ، وكانت (رحاب) هى التى تذكرت أن تسأل عنى إن كنت وصلت بسلام أم لا ..

ـ ما الذى دفعك للمغادرة بهذه الصورة باللّه عليك ؟!

الآن تذكرت أن تسألى ؟! حتى الأصدقاء يا ربى !

ـ ..... !

ـ عمومًا لقد انفضت الدائرة بعد ذهابك بسرعة ، لقد أشارت الزجاجة إلى الفتى المتنكر فى شكل (إلفيس بريسلى) ، الـ (دى . جى) (حسن) ، هل تذكرينه ؟! ، لقد اختار (المستقبل) كالجميع ، وبمجرد أن أمسكت المنجمة بكفه وتطلعت فى راحته ، اسودّ وجهها وتلبد بالغيوم الداكنة ، ورويدًا رويدًا بدأ وجهها يستحيل إلى ما شابه الليمونة المعصورة من فرط الشحوب ، وعندما سألها الفتى عما ترى أجابت بأن خطوط كفه غير واضحة ! تصورى !!

أراحنى ما قالت نسبيًا ، لم يفتنى الكثير من المرح إذن ..

ـ ... بعدها اتجهت المنجمة على الفور نحو (أحمد) وهمست فى أذنه بشىء ما ، فأعلن الأخير أن وعكة مفاجئة قد أصابتها وأنه سيذهب ليعود بها إلى منزلها ، وهكذا انفض السامر ، وانفكت الدائرة ..

ـ جيد !

ـ لكن الكعكة والحلوى والمرطبات قد فاتوك حقًا ، والمسابقة التى اختاروا فيها صاحب أفضل تنكر ..

ـ من كان الفائز أو الفائزة ؟!

ـ (إلفيس بريسلى) أيضًا ، لقد كانت مفاجأة غير متوقعة لكنه كان حكم (مروة) صاحبة الحفل الذى لا راد له ، إنها ليلة هذا الفتى بكل المقاييس ..

لم تكن (رحاب) تدرى أنها محقة إلى أبعد الحدود ..

لقد كانت هذه ليلة الفتى ..

وبكل المقاييس !

★ ★ ★

٥

ـ أفْ ..

صدرت من (حسن) فى ضجر وهو يتململ فى جلسته أمام مقود سيارته الـ (فورد) الزرقاء للمرة العاشرة ، وعاد يرمق إشارة المرور المضيئة باللون الأحمر عبر الزجاج الأمامى ، وأصابعه تدق فوق (التابلوه) الأبنوسى على نغم الإيقاع الصادر من مسجل السيارة ..

هل يمضى الوقت فعلاً بهذا البطء كأنه سلحفاة عجوز ؟! أم أنه هو الذى على عجل من أمره ؟!

أى عجل والساعة الرقمية الضخمة حول معصمه تشير إلى ما بعد الثالثة صباحًا ؟! والشارع من حوله خاو على عروشه إلا من سيارته الـ (فورد) الزرقاء الحديثة ؟!

فى ظروف أخرى ، ما كان ليأبه على الإطلاق بضوء أحمر أو قرمزى أو حتى مشمشى ، ولا نطلق بأقصى سرعة إلى حيث دفء فراشه الوثير ، خاصة بعد هذه الليلة المنهكة

التى قضاها بين الحفل التنكرى لعيد ميلاد شقيقة زميله (أحمد) ، والذى فاز فيه بأفضل تنكر لملك (الروك آندرول) فى القرن الماضى ، وبين سهره المعتاد مع الأصدقاء فى صالة ديسكو (سلطانة) ..

لكنه مجبر لا بطل ..

أولاً : بسبب شرطى المرور الجالس فى استكانة هادئة معطيًا ظهره له فوق الدراجة البخارية البيضاء ، هناك أسفل عامود الإشارة الضوئية ، والذى تختفى رأسه داخل خوذة حمراء لامعة ..

وثانيًا : لأن رخصة القيادة الخاصة به قد تم سحبها منذ يومين بسبب تجاوزه للسرعة المحددة على طريق (القاهرة ـ الإسكندرية) الصحراوى ، وهو لم يذهب بعد لاستلامها بعد دفع الغرامة ، ولو انطلق هذا الشرطى خلفه الآن بسبب (كسره) للإشارة الحمراء فسوف يقضى ليلته فى المخفر لامحالة !

لامفر من الانتظار إذن ، ولكن ..

إلى متى ؟!

إن الدقائق تمضى يشد بعضها بعضًا ، مضت أكثر من عشر دقائق ولم تتحول الإشارة بعد للضوء الأخضر كأن بها عطلاً ما ، وهذا الشرطى اللعين لايلتفت نحوه برغم محاولاته البائسة لجذب انتباهه باستخدام النفير ..

ماذا يفعل إذن ؟

هل يضع ناقل الحركة الهيدروماتيكى على وضع الانطلاق ويضغط دواسة البنزين وليحدث بعدها ما يحدث ؟!

كلا يا (أبا على) .. إن العقل لزينة كما يقولون ..

خفض الصوت الصادر من المسجل ، وضغط زر إنزال الزجاج الأوتوماتيكى ، ورفع عقيرته بنداء الشرطى بعبارات (من فضلك) .. (لو سمحت) .. (أنت يا) .. (إن الإشارة معطلة على ما يبدو) ..

ولكن الشرطى لم يعره أدنى التفات ، ولم يصدر عنه حتى ما يشى بأنه قد سمعه ..

هل نام وهو جالس هكذا ؟! فى هذه البرودة الليلة ؟!

هل يتركه ويذهب ؟!

كلا .. كلا .. ليتأكد فلن يخسر شيئًا !

هبط (حسن) من السيارة ، وكانت هذه أكبر حماقة ارتكبها فى حياته كلها !

ـ بسْ ... بسْ ... بسْ ...

لا مجيب !

زفر فى ضيق وهو يقترب من الدراجة البخارية ، عكس أسفلت الشارع لمعان مصابيح أعمدة الإنارة ، أصدر الحذاء الضخم احتكاكا بالحصى الأملس الغارق فى القار ، مد يده نحو كتف الشرطى هاتفا فى نفاد صبر :

ـ ألن ..... ؟!

ابتلع بقية عبارته ، عندما التفت نحوه الشرطى بغتة ..

عقد الذهول لسانه ، واتسعت عيناه فرقًا عندما لمح قسمات الشرطى خلف الحاجز الزجاجى الأمامى للخوذة ..

ـ يا إلهى أنـ .....

وقبل أن يكمل عبارته ، انقض الشرطى عليه فجأة ، وقبل أن يقاوم أو يفكر فى الصراخ ، كان كل شىء قد انتهى ..

كل شىء !

* * *

وقبل أن يكمل عبارته ، انقض الشرطى عليه فجاة ، وقبل أن يقاوم أو يفكر فى الصراخ ، كان كل شىء قد انتهى ..

رن جرس هاتفى المحمول فى حوالى الرابعة صباحًا ..

تبًا .. كيف نسيت أن أغلقه قبل النوم كما أفعل كل ليلة ؟!

إن أكثر ما يعكر مزاجى هو أن يوقظنى أى مؤثر خارجى قبل أن أكمل ست ساعات متواصلة من النوم ، فلست من يخلدون إلى فراشهم على سبيل الاستمتاع أو الفراغ أو الكسل ، وإنما بعد أن يقتلنى التعب ويشنقنى الإرهاق ويفعل بى سلطان النعاس أفاعيله ، فتسقط رأسى رغمًا عنى أمام كتاب مفتوح أو فوق الأوراق التى أكتب فوقها ..

ـ آلو ..

لا أدرى إن كنت قلتها أم لا ، لكنى كنت أنوى هذا حقًا بعد أن ضغطت زر (نعم) ..

ـ نائمة كما توقعت ..

ـ حسن ؟!

صوتى لا يكاد يغادر حنجرتى ، رأسى ثقيل كظل (كناتة) ، عيناى مغمضتان كأننى أخشى فتحهما لئلا يتطاير النوم منهما ..

ـ لماذا لم تغلقى جرس الهاتف ككل ليلة ؟!

ـ من ؟!

ـ إن جرس الهاتف العادى مغلق ، فكيف نسيت المحمول ؟!

ـ من ؟!

صحت بها فى انزعاج شديد ، ليكن الطالب من يكون لكنه أفسد علىّ نومى الهادئ وهو ما لا أغفره لأحد بسهولة ، ثم إننى فى هذه الحالة أفقد كل قدرة لى على تمييز الأصوات !

ـ إنه حظى الحسن بالتأكيد ..

ـ يووووه .. مـ ...

ـ اهدئى ياصغيرتى ، واستعدى ، فالدائرة قد بدأت تدور ..

صغيرتى ؟! بدأت أفيق ..

لاينادينى بهذا اللقب سوى اثنين .. فتحت عينى لتطالعنى الأشباح السوداوية السابحة فى ظلام الغرفة ..

أبى .. مددت يدى أضغط زر الأباجورة المجاورة لتلقى ببقعة ضوء على السقف ..

و .... لكن أبى نائم الليلة فى غرفته !

ـ السيد (س) ؟!

قلتها وقلبى يخفق بمزيج المشاعر المضطربة والمتداخلة والمتناقضة التى تداهمنى كلما سمعت صوته ـ الذى مازال يتعمد تغييره بجعله أجشّ وأكثر غلظة ـ عبر الهاتف ..

ـ لو كان الوقت سانحًا لقلنا الكثير ، لكن الوضع معقد بالفعل يافتاة !

ـ ما الأمر ؟!

ـ ستعرفين عند ذهابك لهذا العنوان ..

أملانى إياه بسرعة ، (المعادى) ، شارع رقم ...

مهلاً ! (المعادى) ؟!

وفى هذه الساعة ؟!

ـ و ... ولكن الوقت الآن .. إن الفجر يوشك على الانبلاج !

ـ كلما تأخرت فقدت نقطة تستطيعين إضافتها لصالحك يا فتاة !

ـ إنها بعيدة ، ثم .. كيف ؟! أنت قلتها بنفسك ، إننى (فتاة) برغم كل شىء !

ـ ليتنى أستطيع ، لأتيت أصطحبك إلى هناك بنفسى ..

ـ ولكن ..

ـ لا أعذار ، وسأكون دائمًا بجوارك لأراقب الموقف من نظرة الطائر التى تعودتها ..

ـ ألا يمكننا تأجيل الأمر حتى شروق الشمس ؟! إن ...

ـ إلى اللقاء يا صغيرتى ، ولاتتأخرى ..

أغلق السماعة طرفه ، وتركنى ـ مثلما يتركنى فى كل مرة ـ أتخبط حائرة ..

إنه لا يمزح ، ويبدو ـ هذه المرة بالذات ـ حازمًا آمرًا ، الأمر يستحق إذن ..

غسلت وجهى وأسنانى ، وطالعنى احمرار عينى فى المرآة ، ثم بدلت ملابسى وعقلى لايتوقف لحظة واحدة عن التفكير فى كيفية التصرف ..

أتصل بـ (هشام) ؟! سيفعلها هذه المرة ويفسخ خطبتنا !

أوقظ أبى ؟! سيتبرأ منى حتمًا ، وربما أوصى أحد معارفه فى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية بوضعى تحت الملاحظة أربعًا وعشرين ساعة !

لا يوجد حل آخر بديل عما فكرت فيه إذن ..

على أطراف أصابعى ـ كأننى (بالبرينا) محترفة تسللت من غرفتى ، وفى الظلام الدامس عرفت طريقى إلى غرفة أبى ..

من حسن حظى أن أبى ينام تاركًا باب غرفته مفتوحًا ..

على ضوء القمر الشحيح المتسلل عبر خصاص النافذة ميزت جسده النائم ، واقتربت أكثر حتى ميزت وجهه ذا البراءة الملائكية التى أعشقها ، جذبت الغطاء الذى انحسر عنه جزئيًا فوقه وقبلت جبينه ، ثم ـ وبدون أدنى تردد ـ قبضت أصابعى على سلسلة مفاتيحه القابعة فوق المنضدة المجاورة للسرير ..

اعتونى بما شئتم ، ولكن ربما تسبب ذهابى إلى العنوان المذكور فى الوقت المناسب فى إنقاذ حياة إنسان ، أو درء خطر جسيم على أقل تقدير ، من يدرى ؟ ولست مستعدة وقتها لأن أتحمل وزر التقاعس ، أو أن أتعلل بخوف أبى وغيرة خطيبى علىّ ..

وهكذا أدرت مفتاح سيارة أبى داخل مكمنه ، وانطلقت ..

★ ★ ★

ـ آلو ...

ـ (هشام) ... أأنت نائم ؟!

ـ ما هذا النشاط المباغت يا (نسرين) ؟ إنها الخامسة إلا الربع والفجر قد طلع الآن فقط ..

ـ اسمعنى جيدًا يا (هشام) ، لايوجد وقت ، لقد عثرت على قتيل !

ـ هل هذا وقت مناسب للمزاح يا (نسرين) ؟!

ـ أنا لاأمزح ، إليك العنوان ولتحضروا فى أسرع وقت ممكن ..

ـ عم تحدثين ؟!

ـ (المعادى) شارع رقم ...

أعطيته العنوان تمامًا كما أعطانيه السيد (س) ، وأنا أنقل بصرى من السماء التى بدا لونها فى التحول من الحداد الليلى الأسود إلى زرقة النهار البكر الصافية ، إلى جثة (حسن) ـ الذى تعرفت شخصيته على الفور ـ الراقدة بلا أى آثار للعنف أو الدماء ، إلى ضوء الإشارة الذى مازال أحمر اللون ، ثم إلى السيارة الـ (فورد) الزرقاء ذات الباب المفتوح ، وأخذت أمعن النظر فى نقطة محدودة منها ..

الكبوت الأمامى ، وبالتحديد أكثر فى ذلك الرمز المرسوم فوقها باستخدام رذاذ ملون أطلق بوساطة راشّ .. ذلك الرمز الذى بدا فى منتهى الغرابة !

★ ★ ★

ـ إنه ذلك الذى يطاردك مرة أخرى إذن !

قالها (هشام) واضعًا بين شفتيه مبسم سيجارته ، وشرع يشعلها بطريقته المميزة مستخدمًا قداحة ذهبية أهداه إياها أحد أصدقاء السوء ..

ـ أولاً هو لا يطاردنى ، فالكلمة توحى بأنه يريد بى الشر وهذا غير صحيح ، وثانيًا هو لايفعل ذلك دون سبب ، وملفات الشرطة وسجلات النيابة خير دليل !

ضايقه قولى كما توقعت ، لكنى تجاهلت هذا وربما تعمدت مواصلة مضايقته :

ـ إنه أحد هؤلاء الذين لا هم لهم إلا إحقاق الحق ، وتحقيق العدالة ، وهو يمارس دوره البطولى هذا من خلالى أنا !

نفث دخان سيجارته الأبيض المسموم فى الهواء ثم هتفت بعصبية :

ـ تفسير رومانسى رائع يصلح كدعاية مؤثرة لفيلم سينمائى فاشل !

ثم إنه أشار لسيارة أبى الرابضة على مقربة منا خلف الـ (فورد) الزرقاء :

ـ ... ولكن هل سيقتنع هذا الدكتور (فاروق) حماى العزيز ؟!

قلت فى هدوء متناسب مع الثقة المرتسمة أماراتها فوق وجهى :

ـ سأعرف كيف أقنعه ..

لم أشأ أن أخبره كم أنا خائفة من مواجهته بفعلتى الشنعاء ، خاصة أننى لن أستطيع الاتصال به الآن إذ إن جرس هاتف المنزل مازال مغلقًا ، فقد نسيت بغبائى أن أفتحه قبل أن أخرج ..

ـ ... ثم إنها لم تتجاوز السابعة بعد ، أى أننى سأنجح فى العودة قبل أن يستيقظ ..

هز كتفيه قائلاً :

ـ أمنياتى القلبية بعودة (أحمد) !

بمجرد انتهائه من عبارته ، لفت نظرى جنديان يحملان محفة مسجاة فوقها جثة (حسن) لنقلها من مسرح الجريمة ، وكان الشارع مازال خاليًا ـ برغم أن الشمس قد أشرقت فى كبد السماء بالفعل ـ إذ صنعت سيارات الشرطة ما يشبه السياج الآمن حوله ، لكن هذا لم يمنع الأعناق المتطفلة من الاشرئباب مستطلعة ما يجرى ..

دائمًا حيث وجد الحادث ، وجد الزحام ..

دائمًا ..

ـ المسكين ، كان يملأ الدنيا صخبًا وبهجة ليلة أمس !

ـ هكذا الدنيا ، ليس لها أمان ..

ثم إنه التفت نحوى سائلاً :

ـ ولكن كيف تيقنت أنه قد فارق الحياة ؟!

هززت كتفى مجيبة فى بساطة :

ـ كان هذا أوضح من أن أتيقن منه ، شخص بلا حراك على قارعة الطريق ، إنه لم يجد الأسفلت مكانًا مريحًا للنوم كما أظن !

ـ ربما كان فاقدًا للوعى مثلاً .. أو ...

ـ لاتنس أننى ابنة طبيب ، لقد قمت بقياس النبض عبر الشريان الكعبرى فى رسغه الأيمن وكانت النتيجة سلبية ، ثم حاولت فعل ذلك عبر الشريان السباتى فى العنق ولم تختلف النتيجة ..

والتفتّ نحوه بدورى أسأله :

ـ ستحققون فى الأمر على أنه حادث قتل ، أليس كذلك ؟!

أجابنى نافثًا نفس سيجارته الأخير :

ـ سيتحدد هذا بناءً على تقرير الطبيب الشرعى وتعريفه لسبب الوفاة .. وإن كان الواضح أنها حالة دس سم متعمد ، فى الغالب عن طريق الحقن ، وهو ماسيصعّب الأمر قليلاً على الطبيب حتى إن الأمر قد يستلزم استدعاء خبير للسموم ..

سألته مشيرة لضوء الإشارة الأحمر :

ـ ولكن بماذا ستفسرون هذا ؟!

ـ ربما كان عطلاً عاديًا فى صندوق الكهرباء !

ـ وهذا ؟!

سألته هذه المرة مشيرة إلى الرمز المرشوش بالرذاذ الأبيض فوق الكبوت الأمامى ، والذى بدا أشبه بهلب مقلوب ، أو بعصا (شابلن) الشهيرة ذات مقبضين متعاكسين وجذع واحد ، فسألنى بدوره :

ـ ماذا عنه ؟!

ـ هل ستعتبرون وجوده محض صدفة ؟! أم يكون قد وضع مع سبق التعمد كرمز لشىء ما ؟!

تفرس فيه (هشام) للحظات ، ثم قال فى تسليم :

ـ سنرى ماذا يقول وكيل النيابة بشأنه ، وإن كنت أعتقد أن هذه الأشياء لاتدخل فى نطاق الأدلة أو حتى القرائن ، من أدرانا أن القتيل أو الفقيد حتى يثبت قتله لم يفعلها بنفسه كنوع من صراعات تزيين السيارت الغريبة والشاذة ؟!

وتنهد قبل أن يلتفت نحوى مردفًا :

ـ المهم ألا تنسى الحضور إلى مكتبى فى تمام الثانية عشرة ظهرًا ، حتى نستجوبك بشأن اكتشافك لهذا الحادث ..

ثم استدرك قبل أن يتركنى :

ـ إذا كان (حادثًا) بالفعل !

ظللت أحدق فى الرمز بينما مضى هـو لمتابعة عمله ، إنه يحمل معنى ما بكل تأكيد ، ولكن ما هو ؟!

هذا هو السؤال !

توجهت فى سرعة نحو سيارة أبى ، والتقطت من المقعد المجاور للسائق دفترًا للروشتات الطبية المطبوع على كل صفحة منه اسم والدى بالخط الكوفى المشكول ، وقلمًا مطبوعًا على قناته باللون الأخضر اسم شركة شهيرة للمستحضرات والأدوية على سبيل الدعاية ، ثم عدت من جديد للـ (فورد) الزرقاء وشرعت أرسم الرمز المرشوش فوق كبوتها الأمامى ..

إنه يحمل معنى ما ، أنا واثقة من هذا تمام الثقة ..

وعندما قام مركز الاستنتاج المنطقى المطمور فى أخاديد مخى العميقة بربط الحادث مع ما روته لى (رحاب) أمس عبر الهاتف ، أخذت ثقتى تتزايد أكثر وأكثر ..

نعم ..

إن للأمر معنى لن يفسره لى سوى امرئ واحد ..

ولكى أكون أكثر دقة ، فلن تفسره لى سوى امرأة واحدة ..

هل تعرفونها ؟!

★ ★ ★

٦

نظرت (مروة) إلىّ بعينين صالت فيهما وجالت أشباح الذهول ، حتى انفكت عقدة لسانها فى النهاية لتقول :

ـ هلاّ أعدت القصة من بدايتها لو تكرمتِ يا (نسرين) !

زفرت فى ضيق بالغ ، ونقلت عينى بينها وبين (رحاب) ـ التى لم تكن أقل منها ذهولاً ـ ثم قلت متقمصة دور المحققة عديمة الصبر :

ـ لقد رويتها للمرة الثانية بالفعل من فورى !

قالت (رحاب) محاولة إغلاق فيها المفغور :

ـ لكنها عصية على التصديق بالفعل !

كنا واقفات أمام باب المدرج الذى يتدفق الطلبة منه وإليه ، لذا لم أرفع صوتى ـ برغم رغبتى الشديدة فى فعل ذلك ـ وقلت من بين أسنانى المضغوطة :

ـ اسمعانى جيدًا ، هذا ليس مزاحًا ، وليس اليوم الأول من (إبريل) ، إننى أتحدث عن شخص لقى مصرعه أمس ويفحص الطبيب الشرعى جثته الآن ..

ـ وماذا بوسع أى منا أن تفعل ؟!

سألتنى (مروة) فانتبهت لأنى لم أطلب ما أتيت لطلبه ، يا لسخافتى !

ـ أريد أن أرى المدعوة (خلود) ، الآن لو أمكن !

صمتت (مروة) إذ لم تتوقع هذا قطعًا ، بينما سألتنى (رحاب) وذهولها يتزايد :

ـ ولماذا هى بالذات ؟! هل ..

قاطعتها فى حسم :

ـ ليس أكثر من تأكدى أن لديها ما تقوله بكل تأكيد ..

ـ أتعنين تصرفها الغريب معه فى الحفل ؟!

ـ تمامًا ، لاشك عندى فى كون هذه المرأة تعرف شيئًا ما ..

قالت (مروة) وهى تهز كتفيها ، كأنها تنفى عن نفسها تهمة ما :

ـ أنا لا أعرف عنوانها أو رقم هاتفها ..

قلت مضيقة الخناق عليها :

ـ إن (أحمد) يعرف بكل تأكيد ..

ـ سيكون فى الجامعة الآن ، ونحن لدينا محاضرة فى العاشرة !

ما زالت تحاول التملص ، لكنى لم أكن مستعدة لتأجيل المهمة ، لذا فقد قلت بلهجة جنرال عسكرى يخاطب جنود كتيبته :

ـ من حسن الحظ أنها محاضرة فى (الإعلان) ، أعتقد أن (رءوف كساب) سيتفهم الأمر لو طلبنا منه إعادتها لنا فى أى وقت لاحق ..

لم تجد (مروة) مفرًا هذه المرة ، فقالت فى استسلام وهى تعيد كشكول محاضراتها الضخم إلى حقيبة يدها الكبيرة :

ـ ليكن ، هيا بنا ..

نظرت إلى (رحاب) أسألها بدون كلام إن كانت تنوى اصطحابنا ، لكنها ابتسمت قائلة فى جبن :

ـ كان بودى أن آتى معكما ، لكنى مصابة بحساسية شديدة تجاه الجرائم بأنواعها ، إلى اللقاء ..

قالتها ، ثم اختفت خلف باب المدرج كلمح البصر !

★ ★ ★

غلالة من الحزن الرمادى الشفاف تكسو أنحاء الجامعة

الأمريكية ، فرد الموت جناحيه الهائلين على الرءوس ، وأطل بجلاله المتفرد من كل عين دامعة ..

صورة (حسن شوقى) الطالب بالسنة الثالثة فى قسم (إدارة الأعمال) معلقة بالأبيض والأسود على حامل كبير عند مدخل الجامعة ، وبأسفلها عبارات نعى مقتضبة مطبوعة بحروف لاتينية كبيرة ، ثم ساحة بيضاء يخط فيها الطلبة والطالبات كلمات للذكرى يفوح منها عبق اللوعة ومهابة المأساة ..

كيف وصلهم الخبر بهذه السرعة ؟!

لم أجد متسعًا من الوقت للتفكير ، إذ طالعنى وجه (كناتة) النحيل وهى تخط بقلم حبر جاف بضع كلمات فوق لوحة النعى ، ويبدو أنها أرادت أن تتجاهلنى ـ و(مروة) كذلك ـ برغم أن أعيننا قد تلاقت ، لكنى لم أكن أريد هذا !

ـ (كناتة) ، أليس كذلك ؟!

سألتها وأنا أتجه نحوها ، فقابلتنى ببرود وهى تقول :

ـ بلى ..

ـ إننا نبحث عن (أحمد) شقيقى ..

قالتها (مروة) من خلفى ، فردت (كناتة) دون أن ترفع رأسها نحونا :

ـ ستجداته فى الكافيتيريا ، لقد أضرب الطلبة اليوم عن الدراسة حزنًا على زميلنا الفقيد ..

أردت أن أسألها عن أشياء كثيرة ، ولكن (مروة) جذبتنى من ذراعى بعيدًا عنها ، وفى الطريق إلى الكافيتيريا ، سألت (مروة) :

ـ هل رأيت القلم الذى تكتب به ؟!

ـ نعم ، ما به ؟!

ـ لقد رأيت مثله فى سيارة أبى هذا الصباح ، بنفس شعار شركة المستحضرات والأدوية المطبوع فوق قناته ..

ـ وما الغريب فى هذا ؟!

ـ لاشىء مجرد ملاحظة ، ولكن هل لها أقرباء يعملون فى الشركة أو .... ؟

ـ إن والدها رئيس هذه الشركة ليس أكثر ! ولو أنك دققت النظر أكثر لرأيت نفس الاسم والشعار فوق الحقيبة الصغيرة التى تحملها على ظهرها ..

ثم أشارت (مروة) نحو منضدة قريبة مردفة :

ـ ها هما ذان..

(أحمد) و(ميادة) وسط عشرات الطلبة والطالبات الآخرين ، إنهم يستطيعون التوقف عن الدراسة هنا وقتما يحبون ، يا للحرية !

لكنها ـ لو أردت الصراحة ـ كانت لوحة معبرة للغاية عن الحزن الجماعى الذى يتسلل من فرد لآخر دون أن يشعر ، حتى تجد نفسك فى النهاية مشاركًا ـ ولو بالصمت ـ فى مظاهرة الحداد هذه برغم أنه لا علاقة لك بكل ما تراه !

ـ إننى أبحث عن (خلود) ، منجمة حفل الأمس ..

قلتها هكذا دون مقدمات بعد أن تبولت السلامات والمجاملات الصامتة ، فسألنى (أحمد) مستفهمًا :

ـ ماذا تريدين منها ؟!

لم أجد ما أقوله أفضل من :

ـ لاشىء يذكر زيادة عن علاقتها الخفية بمصرع زميلكم ..

نظرت (ميادة) إلى (أحمد) قائلة :

ـ كمـا أخبرتـك ، لابد أن هنـاك همـزة وصـل خفيـة بين عدم قدراتها على استقراء كفـه ومصرعه فى نفس الليلة ..

قلت فى لهجة محايدة ما بين التأييد والرفض :

ـ هـذا وارد ، لكنى أفضـل تأجيـل كل النتـائج لما بعد رؤيتها أولاً ..

قال (أحمد) فى شىء من الارتباك :

ـ لقد كان الأمر محض دعابة ليس أكثر ، فقرة طريفة فى حفل ظريف ، لقد شاهدتها فى حفل سمر ليلى الصيف الماضى فى فيلا زميلة لى بـ (العجمى) ، وتعرفتها ثم أخذت عنوانها ورقم هاتفها لـ ....

قاطعته (ميادة) فى غيرة أنثوية بائنة :

ـ زميـلة ؟! ومـن تـكون هـذه الـ (هـاتـم) بسـلامتها ؟!

قال (أحمد) واضطرابه يتزايد :

ـ (كناتة) ، لقد أخبرتك بهذا الأمر ، ألا تذكرين ؟! (كناتة) و(خلود) ؟! رابط آخر لم أكن منتبهة له ..

(... لقد بدأت هذه الهستريا الجماعية الغامضة بمجرد حضورها ...) !

لكنه لم يكن الوقت المناسب بتاتًا للغرام والانتقام ، فقلت لـ (أحمد) فى اهتمام عملى بحت :

ـ أعطنى العنوان من فضلك يا (أحمد) ..

أخرج (أحمد) حافظته الجلدية السوداء من جيب معطفه ، وناولنى بطاقتها قائلاً :

ـ الأفضـل أن تتصلى بهـا أولاً ، إنهـا دائمًا غير موجودة أو مشغولة فى عمل ما ..

تناولت البطـاقة وفكرة ما تعن لى ، سـارعت بتنفيـذها على الفـور متبعـة مبـدأ طـرق الحديد وهـو مـا زال ساخنًا ..

ـ انظـر إلى هـذا يا (أحمـد) ، هـل يبـدو لك ذا معنى ؟!

قلتها وأنا أناوله الروشتة الطبية المرسوم عليها الرمز الذى رأيته على كبوت سيارة (حسن) ، فعقد حاجبيـه متفرسًا فيها للحظات ، ثم قال :

ـ أهو رمز لشىء ما ؟!

أيدته (ميادة) بقولها :

ـ يبدو هذا !

ـ أنا التى أسأل ..

قلتها فى خيبة أمل ، بينما تناولت (مروة) الورقة منه قائلة :

ـ أرنى !

ثم غابت فى تأملها ، ومن قسمات وجهها أيقنت أنها لاتعرف ، فقلت :

ـ لقد وجدتها مرسومة فوق سيارة (حسن) الـ (فورد) الزر ..

نتش (أحمد) الورقة من بين يدى شقيقته فجأة ، قائلاً :

ـ لكن هناك طريقة ما حتمًا لكن نعرف ..

ثم إنه قفز واقفًا فوق منضدة من مناضد الكافيتيريا ، وفرد الروشتة بيديه هاتفًا فى الجميع :

ـ انتباه من فضلكم ..

تحولت أنظار كل رواد الكافيتيريا الجالسين منهم والواقفين نحوه فى استغراب وتطلع ، فأشار بسبابة يده اليسرى إلى الرمز المرسوم هاتفًا :

ـ هل يرى أحد منكم أى معنى لهذا الشىء ؟

انعقدت حواجب الجميع وهم يضيفون أعينهم المحدقة فى الرمز بتساؤل ، فأضاف (أحمد) محاولاً ألا يجرح المشاعر المتألمة لفقد زميل دراسة :

ـ قد يكون له علاقة وثيقة بزميلنا الراحل ..

من بعيد رأيت (كنانة) وهى تندس وسط الجموع ، ولاحظت الشحوب الذى اعتلى وجهها ذا العظام البارزة ، و ....

ـ أعتقد أننى رأيت شيئًا كهذا من قبل ..

عرفت صاحب الصوت على الفور ، إنه (رامى) ، مسخ (فرانكنشتين) ذو الصوت الدافئ والملامح الأخوية ..

ـ أين ؟ وما معناه ؟!

سأله (أحمد) وقد نظر إليه كما فعل الجميع ، فأجاب :

ـ فى كتاب قديم عن فن التنجيم والعدادة(*) ، إنه يرمز لبرج (الحمل) على ما أظن !

اتسعت عيناى ـ كعيون الجميع ـ وبدأ عقلى فى ربط الأمور وتحليلها من جديد ..

أما (كناتة) فقد ازداد شحوب وجهها حتى بدت كمومياء ساحرة فرعونية شريرة ، قبل أن تغادر الكافيتيريا بأقصى سرعة ، قبلنا جميعًا !

★ ★ ★

هل هو قاتل متسلسل ؟!

كلا ... ليس بعد !

★ ★ ★

أشارت ساعة الحائط فى مكتب خطيبى الرائد (هشام) إلى الثانية عشرة ظهرًا ، وشرعت فى إصدار دقاتها الرتيبة المنغومة مع اهتزاز بندولها بلا توقف ـ بينما غاص هو فى

(★) العدادة Numerology : دراسة معانى الأعداد السحرية والتنجيمية ..

مقعده الجلدى الوثير رامقًا إياى بنظرة ملؤها الخبث ، قائلاً :

ـ فى موعدك تمامًا !

ـ هذه إحدى خصالى المحمودة كما تعرف ..

قلتها فى سرعة وأنا أجلس أمامه ، فتراجع بمقعده وقد زادت نظراته خبثًا إضافة إلى هذه البسمة التى أعرف معناها جيدًا ، ثم سألنى :

ـ هل نجحت فى إقناع الدكتور (فاروق) بما حدث ؟!

دائمًا يحاول محاصرتى من هذه الجهة ، إذ يدرك تمامًا أنها نقطة ضعفى الوحيدة ، وقد أجبته فى بساطة لامتناهية :

ـ قطعًا ، لقد تفهم الأمر تمامًا ..

لم أكن أكذب ، لكنى لم أخبره بالجانب المظلم من الموضوع وهو أن تفهمه للأمر لم يمنعه من إبرام القطيعة بينى وبينه مدة أيام ثلاثة ، وقد فهمت هذا ضمنيًا عندما عدت فى الثامنة لأجده وقد ارتدى ملابسه ، وعندما ألقيت بتحية الصباح عليه لم يرد ، وإنما تناول سلسلة مفاتيحه من يدى وغادر دون كلمة واحدة إضافية !

مازال أبى متحضرًا للغاية حتى فى خصامه معى وعقابه لى ، ومازال مؤمنًا بقواعد التربية الحديثة التى تفضل الإيلام النفسى عن الإيذاء البدنى ، ومازال هذا يؤتى بقطاف حسن لو تجاوزنا عن بعض الاستثناءات ..

أما (هشام) فقد بدأ يعتاد هذه الأمور على ما يبدو ، وإن كنت أشك فى أنه قد توصل بعد لصيغة مناسبة يتعامل بها معى كرفيقة عمر ممتد تحت سقف واحد ..

هل سيتحمل جنونى هذا حتى النهاية ؟!

لأدع الأيام تحكم بنفسها ..

ـ سأحاول أن أصدقك ، وإن كانت معرفتى به تعوقنى بعض الشىء عن التسليم بما تقولين !

ـ هذا ما حدث !

وأسرعت أغير دفة الحديث قبل أن يستدرجنى (هشام) إلى فخ من فخاخ رجال الشرطة ليقتنص منى اعترافًا بما حدث :

ـ عم أسفرت التحقيقات ؟!

قال متذاكيًا :

ـ لقد بدأت فى العمل إذن !

ـ إنها قصتى كما تعلم ولن أسمح لأحد أن يسبقنى فى دفعها للمطبعة ..

وأردفت :

ـ ولا تنس أنها تحمل توقيع السيد (س) ..

هز رأسه ممتعضًا ، ثم قال ناظرًا فى الأوراق المتناثرة أمامه :

ـ كل ما جمعناه من معلومات عن القتيل هو التالى : اسمه (حسن شوقى عبد البارى) طالب فى قسم (إدارة الأعمال) بالجامعة الأمريكية ، يسكن منفردًا فى شقته بـ (المعادى) ، أبوه تاجر شهير من أباطرة الأسماك فى (الإسكندرية) ، يصفه الجيران بالأناقة والثقافة العالية لاكما تصوره لنا الأفلام والمسلسلات كأمى يرتدى الجلباب والعمامة ، لقد أرسلنا استدعاء له لكنه لم يصل لـ (القاهرة) بعد ، ومازلنا الآن فى مرحلة حصر معارفه وأصدقائه وأقرانه تمهيدًا لاستجوابهم ..

سألته بكل اهتمام وتلهف :

ـ ماذا عن معاينة النيابة لموقع الحادث ؟!

ـ وكيل النيابة لم يصرح بشىء بعد ، لكنى أستطيع الجزم

بأنه لم يعثر على أية أدلة مادية ذات قيمة من معاينتى للموقع بصحبته ..

ـ وتقرير المعمل الجنائى ؟!

ـ لم يصلوا لأى شىء يذكر ، إن عملهم هنا فى (مصر) يعتمد على الطرق البدائية فى رفع البصمات ، والبصمات ـ كما تعلمين ـ قد أضحت حلمًا بعيد المنال إذ جعل اختراع القفازات المطاطية الدنيا تضحك للجراحين والسفاحين على حد سواء !

ـ والرمز فوق كبوت السيارة ؟!

ـ أخبرتك أنهم لا يعدون هذه الأشياء أدلة ذات قيمة !

ـ وتقرير الطبيب الشرعى ؟!

اعتدل فى جلسته ممسكًا بورقة ما ، وقال مضيقًا حدقتيه كأنه (شيرلوك هولمز) بنفسه :

ـ هذه هى النقطة الأكثر أهمية فى الموضوع ، وبسببها فقط نحقق فى الأمر على أنه حادث قتل مع سبق الإصرار والترصد ، إنها طريقة جهنمية فى القتل لم نتعرض لها من قبل قط ..

وصمت للحظة وعيناه تعدوان فوق السطور قبل أن يقول :

ـ التشخيص النهائى ـ كما دونه الطبيب بنفسه ـ هو (تجلط وعائى منتشر) ، والسبب فى الوفاة هو جلطة مخية ، ويشير الفحص الباثولوجى إلى وجود عدة جلطات أخرى فى أماكن متفرقة كالكبد والكليتين والرئتين والقلب ، كما يشير كذلك إلى ارتفاع غريب فى نسبة عوامل تجلط الدم ، بالذات عاملىْ (الثرومبوبلاستين) و (الفايبرينيوجين) مع انخفاض أغرب فى عوامل منع التجلط مثل (البلازمين) !

لم أستوعب الكثير من المصطلحات التى قالها ـ بفعل دراستى الأدبية كما تعلمون ـ أو التى قرأها ـ هكذا أدق ـ إذ أشك فى أنه يستطيع لفظها غيْبًا ـ دراسته أدبية هو الآخر ! ـ لكنى فهمت المغزى العام للأمر ، وكالعادة بدأ عقلى يعمل ، بينما استمر هو يقول :

ـ يعتقد الطبيب أن القتيل قد حقن بعقار ما تولدت عنه هذه النتيجة المأساوية ، إذ يشير إلى موضع حقن فى فخذه الأيمن لم تمر عليه ليلة كاملة ، كما لاينسى أن يضيف النتيجة النهائية لتحليل الدم التى أشارت إلى وجود نسبة عالية من (الفينوباربيتون) ـ وهو مخدر قوى ـ يعتقد أنه قد تم حقنه مع العقار المذكور بمحقن واحد ، وإن كان لم يشر إلى كنه هذا العقار ولم يصفه إلا بأنه (مستحدث) !

مخدر ومحفز لتجلط الدم ؟!

ـ هذا كل ما هنالك حتى الآن ..

ترك (هشام) الأوراق التى كان يمسكها ، وعاد يتراجع بمقعده وهو يسألنى :

ـ هل توصلت أنت لشىء ما ؟!

ـ تكهنات ، كلها محض تكهنات ..

ثم رويت له قصة رمز برج (الحمل) ، وقصة المنجمة (خلود) مع (حسن) بالأمس ، وكيف أننى حاولت الاتصال بها على رقم الهاتف الذى أعطانيه (أحمد) فردّ علىّ مدير أعمالها قائلاً إنها غير موجودة الآن ..

ـ لكنى لن أتركها ، إنها الخيط الوحيد الذى سأتبعه أنا ..

هذه المرة كنت لا أقول الصدق ، إن هناك خيطًا آخر استطعت استبيانه ..

هو خيط واه ، رقيق ، مشدود ، لكنه يبشر بنهاية جيدة ..

لكنى لن أفصح عنه الآن ، لابد من أن أتأكد أولاً ..

* * *

قابلنى عم (أنيس) الصيدلى أسفل مستشفى أبى الخاص بابتسامة ترحيب كبيرة ، وهتف بصوته الجهورى :

ـ لقد كبرت الفتاة الصغيرة وأصبحت عروسًا فى جمال القمر !

ابتسمت لترحيبه ، هكذا عم (أنيس) دائمًا يحب مداعبتى منذ كنت طفلة ، فقلت أبادله الدعابة :

ـ لو كنت عما تقول لتزوجتنى كما كنت تعدنى منذ زمن بعيد !

ـ اخفضى صوتك ، إن خطيبك شرطى وللحيطان آذان ..

لو بادلته الدعابة لاستمر الأمر حتى يهبط الليل ، وأنا متعجلة للغاية ..

ـ كنت أريد سؤالك بشأن ما يا عم (أنيس) ..

ـ مرينى يا صغيرتى !

ـ هل تتعاملون مع هذه الشركة فى طلبيات الصيدلية ؟!

أريته اسم الشركة التى يعمل والد (كنانة) رئيسًا لها ، فقال على الفور :

ـ بالطبع ، ما من صيدلية فى (مصر) كلهـا لاتتعامل معها ، فأسعارها معقولة وهى تصنع أدوية كان استيرادها من الخارج يكلفنا ـ نحن والزبائن ـ ما لانطيق ..

هل تصنع هـذه الشركة أدوية خاصة بتحفيز عملية تجلط الدم ؟!

سألنى فى استغراب :

ـ ولماذا تسألين ؟!

أمقت هذا السؤال ، ثم إنى متعجلة للغاية ..

ـ تغطية صحفية لموضوع طبى ..

أنقذتنى بديهتى ، فأجاب :

ـ بالفعـل ، هنـاك دواء حديث أنتجتـه الشركة لمرضى (الهيموفيليا)(*) ، وقد أعلنت عنه بالفعل وأرسلت منـه عينات للصيدليات ، لكنه مازال فى طور التجربة التجارية إذ تسرى شائعات وأقاويل بأنه أقوى من اللازم ، إلى حد يمكن معه أن يصاب مريض (الهيموفيليا) بالجلطـة فـى أى عضـو مـن أعضاء جسمه !

هذا يكفينى تمامًا ..

(*) الهيموفيليا : نزعة وراثية إلى النزف الدموى بسبب نقص عوامل تجلط الدم ..

ـ شكرًا يا عم (أنيس) ..

ـ اجلسى ، إنك لم تشربى شيئًا ..

ـ فيما بعد ، تحياتى لوالدى لو رأيته !

هل تعرفون ما كنت أفكر فيه ؟!

تمامًا ..

إنها (كنانة) ، ومن يكون غيرها ؟!

★ ★ ★

٧

نعم ... هذا هو العنوان ..

قالها عامل توصيل الطلبات للمنازل لنفسه وهو يهبط من فوق دراجته البخارية ، صحيح أنه يومه الأول فى هذه المهنة ، لكنه يحفظ هذه المنطقة جيدًا شارعًا شارعًا ، إنها المنطقة التى نشأ وترعرع فيها وهذا يكفى ..

اتجه نحو الصندوق الكبير المثبت فى خلفية الدراجة البخارية ، والمطبوع فوقه اسم مطعم (البيتزا) الشهير الذى تسلم عمله فيه اليوم ، مع رسم بدائى لهاتف تراصت بجواره أرقام هواتف خدمة التوصيل للمنازل ..

إن هذه المهنة ـ برغم تواضعها ـ أفضل من البطالة على أية حال ..

قالها لنفسه وهو يخرج الصندوق المربع الذى حمل فوقه اسم المطعم ، وفاحت بداخله رائحة (البيتزا) الشهية التى سال لها لعابه ، إنها الخامسة عصرًا ولما يتناول غداءه بعد ، لكنه سيفعل فور عودته للمطعم وتغيير الورديات ..

نظر للعنوان المدون لديه مرة أخرى ، هو بعينه ، هذه الفيلا الصغيرة هى المقصودة ، اطمأن إلى أن الفاتورة فى جيبه ، وبخطوات سريعة اتجه نحو بوابة الفيلا الحديدية الخارجية ، متشاغلاً عن الأنغام الصادرة من أمعائه التى تتلوى بالصفير ، وإذ توقف أمام البوابة تمامًا ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وانتظر ..

لكن أحدًا لم يرد ..

ربما كانوا نائمين ، ولكن ألم يطلب أحد (البيتزا) التى يحملها ؟! كيف ينام إذن ؟!

قالها لنفسه وهو يعاود الضغط مرة بعد مرة بعد مرة ، دون أن تتبدل النتيجة ، لا أحد يرد أو حتى يظهر من خلف النوافذ المغلقة ، كأن لا أحد هنا بالمرة ..

لم يكن أمامه سوى أحد خيارين ، إما أن يعود أدراجه مضيفًا الطلب إلى سجل الطلبات الزائفة ، أو أن يتأكد أن لا أحد هنا فعلاً ..

اختار الثانية ، وهو اختيار سيندم عليه كثيرًا فيما بعد !

علا صوته وهو ينادى : (هل من أحد هنا ؟) ، (يا أهل اللّه

يا من هنا !) (لقد حضرت بالمطلوب) ، لكن النتيجة ظلت كما هى ، لا أحد ..

كاد يعود نحو دراجته البخارية يائسًا عندما لاحظ أن البوابة الحديدية التى يقف أمامها غير موصدة ، إنها مردودة فقط !

دفع البوابة بيده فاتفحت ، راوده شعور بالخطر لكنه تحلى بالشجاعة وواصل التقدم عبر حديقة الفيلا إلى بابها الخشبى المترائى له واضحًا من بعيد ..

ولكن ما هذا الوحل الذى غاص فيه بحذائه اللامع ؟! يبدو أن الحديقة مسقية حديثًا ..

قالها لنفسه وهو يواصل التقدم ، ليلاحظ عند وقوفه أمام الباب الخشبى لمبنى الفيلا أنه أيضًا مفتوح ، أنه مردود فقط !

كان يستطيع أن يعود أدراجه ، لكنه أبى واختار استكمال المشوار حتى نهايته ، أخذ ينادى من جديد ، لكن أحدًا لم يعطه ردًا ، وهكذا دفع الباب الخشبى بيده وخطا نحو الداخل بمنتهى الحرص والحذر و ...

ـ يا إلهى !

شهق ثم هتف بها فى صوت مسموع ، وسقط صندوق

(البيتزا) الذى يحمله على سيراميك الأرضية اللامع ، واتسعت عيناه جزعًا وارتياعًا وهما تحدقان فى منضدة الطعام فى ركن البهو الواسع ، وبالتحديد أكثر ، فى ذلك المقعد الذى تجلس عليه فتاة ألقت بنصفها العلوى فوق سطح المنضدة ..

اقترب أكثر ، ولمح صندوق (البيتزا) ـ الحامل لشعار المطعم الذى يعمل فيه ـ والذى استلقت الفتاة فوقه ، وعندما نادى الفتاة لم ترد ، وعندما رفع يدها ألقتها مرة أخرى ، وكما شاهد فى الأفلام السينمائية ، فإن هذا لايحمل سوى معنى واحد ووحيد ..

هذه الفتاة ميتة !

* * *

ـ ما هذا يا (نسرين) ؟!

سألتنى أستاذتى السيدة (ألفت همام) ـ بلهجة قدرت أنها تحمل شيئًا من الانزعاج ! ـ وهى تنظر نحوى من خلف عويناتها المستطيلة الدقيقة ، فشعرت بأنى أتضاءل أمامها وبأن الحرارة تشع من وجنتى ولذت بالصمت ، فتابعت وهى تشير إلىّ بمجموعة الأوراق التى قدمتها إليها من فورى .

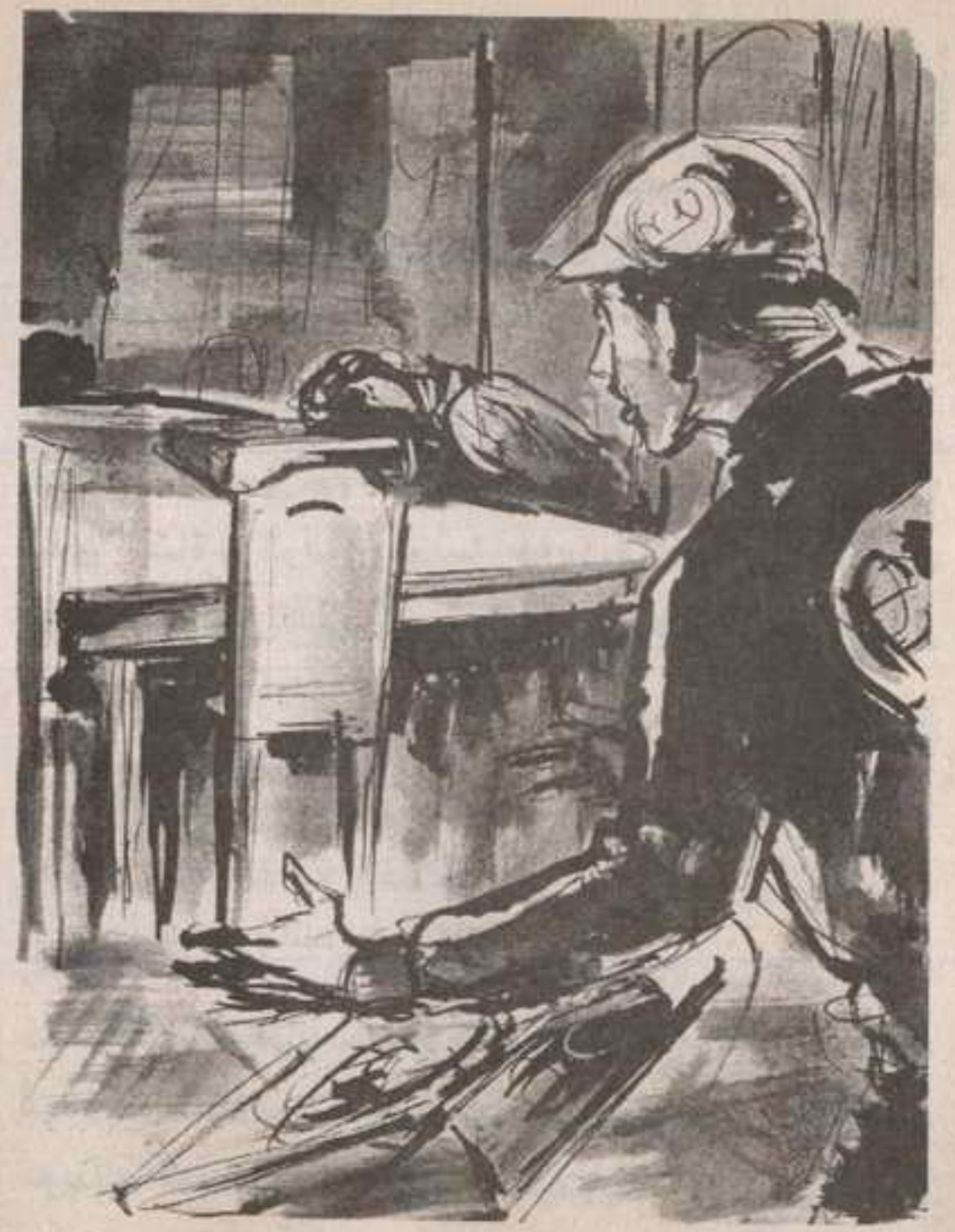

واتسعت عيناه جزعًا وارتياعًا ، وهما تحدقان فى منضدة الطعام فى ركن البهو الواسع ، وبالتحديد اكثر ، فى ذلك المقعد الذى تجلس عليه فتاة القت بنصفها العلوى فوق سطح المنضدة ..

ـ هل هذا ما قلتِ لى عنه فى الهاتف إنـه قضيـة أخرى من قضايا السيد (س) ؟!

تنحنحت ، وابتلعت ريقى ، وانكمشت رقبتى بين كتفى وأنا أقول كأننى أدعو أن تنشق الأرض وتبتلعنى :

ـ إنه .. إنها .. أعنى إن الأمر كذلك بالفعـ ...

قاطعتنى فى حزم :

ـ إنك تدرسين (الصحافة) فى كلية (الإعلام) ، جميل ، ولكن هل نسيت أن أهم سؤال فى قضايا الحوادث ـ وبالذات القتل ـ هو من ؟! إن قضية بلا جان هى قضية ليست للنشر يا صحفية المستقبل !

قلت محاولة أن أستعيد رباطة جأشى وأن ألملم ما تبقى من كرامتى المبعثرة بسبب حماقتى :

ـ أعلم هذا ، لكنى أشرت إلى احتمال أن يكون فى الأمر قاتل متسلسل !

عادت تنظر للأوراق مجددًا وهى تهتف :

ـ حتى لو كان الأمر كذلك ، فـأين دليلك عليـه ؟! يبدو حتى أنك لم تقرئى شيئًا عن القتلة المتسلسلين ..

أفحمنى قولها فكدت أنفجر بالبكاء كأنى فى مستهل طفولتى ، ويبدو أن السيدة (ألفت) قد لاحظت هذا فتنهدت بعمق قبل أن تخلع منظارها تمامًا ، وتنظر نحوى بمزيج من القسوة واللين ، الشدة والحنان ، الحزم والرحمة ، وتقول :

ـ لقد تعجلت يا (نسرين) ، نشرنا لك عددًا من التحقيقات فأعجبتِ بنفسك ، والإعجاب بالنفس هو مقبرة الكاتب الحقيقية ، تعجلت وشرعت تكتبين ما يجول بخاطرك على الفور دون الرقابة الذاتية التى كنت تشرعينها فوق كلماتك من قبل ، فجاءت فاترة ، بلاحرارة ولاصدق ..

كنت فى حاجة حقيقية لأن أسمع هذا التقريع اللين من شخص ما ، ويبدو أن السيدة (ألفت) أدركت هذا فتابعت بنفس لهجتها المتأرجحة بين النقيضين :

ـ احفظى هذا الدرس عنى جيدًا يا ابنتى ، فهو حصيلة أعوام طويلة من الخبرة والكد ، مهما علوت وتبوأت المراكز المرموقة وأحرزت النجاحات تلو الأخرى ، مهما ذاع صيتك واشتهر اسمك وصار الناس يتشوقون لكتاباتك اكتبى كهاوية ، إن الهاوى عاشق لعمله ، أما المحترف فيكتب من أجل خبزه وكفاف يومه ، وهذا هو أقصر الطرق للفشل ..

أسعدنى اهتمامها بى بقدر ما ضايقنى تقصيرى وإهمالى وكونى بعيدة عن حسن ظنها الدائم فىّ ، لكنى لم أتفوه بحرف وتركتها تتابع :

ـ سأنتظر تحقيقك هذا عندما تكتمل أركانه ، وكلى ثقة فى أنه سيكون نقلة أخرى لتلميذتى النجيبة عند قرائها ..

وابتسمت أكثر وهى تضيف :

ـ وعندنا فى الجريدة أيضًا ..

* * *

رن جرس هاتفى المحمول وأنا أهبط سلم البناية الكائن فيها مقر الجريدة ، فقبلت المكالمة ، وبكل ضيق الدنيا رددت ..

ـ آلو ...

ـ ألايجب أن تكونى فى المنزل الآن ؟!

(هشام) ؟! لست رائقة البال لقبول غيرته هذه ..

ـ يحسن أن تتصل بى فى وقت آخر يا (هشام) ، إنى متعبة جدًا وليس ...

قاطعنى هاتفًا :

ـ هكذا ؟! جنت على نفسها (براقش) إذن ، لقد كنت أحمل أنباء جديدة ..

ـ بشأن ماذا ؟!

ـ سأخبرك فى وقت آخر ..

ـ هيا يا (هشام) ، لاتكن طفلاً !

ـ جريمة قتل أخرى ..

ـ بنفس الطريقة ؟!

ـ بنفس الطريقة !

ـ متى ؟! وأين ؟! ومن ؟! و ....

ـ على رسلك ، إليك العنوان ...

أعطانى إياه فحفظته ذاكرتى بسرعة ، وسألته هذه المرة بسرعة مستفيدة من درس السيدة (ألفت) القاسى :

ـ من هذه المرة ؟!

ـ طالبة فى الجامعة الأمريكية !

ارتفع حاجباى فى دهشة عارمة ، وخفت أن تكون ظنونى كلها محض أوهام فى نهاية المطاف فسألته :

ـ من هى ؟!

وذهلت أكثر وأكثر فور سماعى للاسم ..

★ ★ ★

ـ (ميادة نبيل راغب) ، هذا هو الاسم الثلاثى !

(أحمد) المسكين ، هل عرف أن خطيبته قد فارقت الحياة ؟!

ـ إنها خطيبة شقيق واحدة من أعز صديقاتى ..

ـ أعانه اللّه على الصبر والسلوان !

قالها (هشام) بكل جمود ، فساءلت نفسى ـ رغمًا عنى ـ عن تصرفه لو كان فى مكانه ، ولم يسعفنى عقلى بإجابة مناسبة ترضينى .. لكنى سارعت بنفض كل هذا عن خاطرى وسألته محاولة التغلب على مشاعر الألم التى اجتاحتنى بمنتهى العنف :

ـ وكيف تم إبلاغكم بالحادث ؟!

أشار (هشام) إلى صندوق (البيتزا) المفتوح فوق

منضدة الطعام ، والذى كانت (ميادة) تستلقى فوقه كجثة هامدة قبل أن ينقلوا جثتها إلى المشرحة قبل قليل ، وقال :

ـ لقد عادت القتيلة إلى الفيلا ظهرًا فلم تجد أحدًا سواها ، حتى الغفير كان فى إجازة اليوم ، وهى كما عرفنا تقيم بمفردها مع أبيها إذ إن لها أخًا وحيدًا يدرس (طب الأسنان) فى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، والأب يدير مجموعة استثمارية كبرى ذات أنشطة متعددة ويتغيب عن المنزل كثيرًا لدرجة أننا لم نعثر عليه حتى الآن لإبلاغه بمصرع ابنته ، المهم أنها فيما يبدو قد هاتفت مطعمًا لـ (بيتزا) ليأتوا لها بغدائها ، وعندما أتى العامل بما طلبت وجدها قد فارقت الحياة فوق المنضدة ..

سألته فى حيرة :

ـ كيف هذا و (البيتزا) كانت موجودة بالفعل ؟!

فرقع بأصبعيه فى حركة مفاجئة أفزعتنى قبل أن يستطرد :

ـ القاتل قد خطط لجريمته بمنتهى الحنكة والبراعة على ما يبدو ، لقد تنصَت على مكالمة الهاتف وأتى بـ (البيتزا) من فرع آخر للمطعم ، ثم سممها بالعقار القاتل نفسه ، كما سيبين تقرير الطب الشرعى بكل تأكيد ، وأتى بدلاً من العامل الحقيقى لينفذ جريمته الشنعاء ..

أكملت أنا هازة رأسى فى تفهم :

ـ ويأتى العامل الحقيقى بعده ليكتشف الجريمة ، تصور معقول !

(كنانة) ، هى دون غيرها ، كل أصابع الاتهام تتجه نحوها ، غير أن الدليل المادى الأكيد مازال ينقصنا .. ولكن ..

ـ ما الذى جعلك متأكدًا هكذا من تشابه العقار فى هذه الجريمة والجريمة السابقة ؟

سألت (هشام) فجأة ، فعبث بطرف شاربه وأجابنى بسؤال آخر :

ـ تعنين شكى فى كون القاتل واحدًا فى المرتين ؟!

وما الفارق ؟! لم أجادله وهززت رأسى بالإيجاب فأشار إلى المنضدة قائلاً فى اقتضاب :

ـ هذا ....

نظرت إلى حيث أشار ، واتسعت عيناى لاذهولاً هذه المرة وإنما تساؤلاً :

ـ ما هذا ؟!

كان يشير إلى شكل ما مرسوم باللون الأحمر فوق المنضدة إلى جوار صندوق (البيتزا) المفتوح ، شكل شبيه برقم (٢) فى العدد الرومانى ..

وتذكرت شيئًا ..

★ ★ ★

(أريد أن أصارحك أن رقم (٢) سيحمل لك خطرًا ما ...)

(... ولكن لايبدو خطرًا جسيمًا ...)

(... المهم أنها كانت من مواليد برج (الجوزاء) !

★ ★ ★

قال (هشام) :

ـ الظاهر أن القاتل قد قام برسم هذا الرمز بنفسه مستخدمًا عبوات (الكاتشب) ليعلن عن وجوده ويستثير حفائظنا !

سألته فى لهجة ذات مغزى :

ـ ولِمَ لا تعتبرها هذه المرة أيضًا نوعًا من الزينة أو العبث الغريب أو الشاذ ؟!

أجاب فى موضوعية :

ـ لأن الصدفة لاتتكرر مرتين ، هذه نقطة ، ولأن هذا يفسر وجود الأبواب مفتوحة أمام عامل توصيل الطلبات للمنازل الحقيقى ، فالقاتل قد عاد حتمًا بطريقة ما بعد أن تأكد من أن القتيلة قد تناولت (البيتزا) المسمومة بالفعل ، فرسم هذا الرمز ـ الذى يدل على كونها القتيلة أو الضحية الثانية فى الغالب ـ ثم غادر المكان تاركًا الطرق مفتوحة خلفه إلى الداخل ..

قلت فى موضوعية مماثلة :

ـ هذا أيضًا يبدو تصورًا معقولاً !

شكرنى بإيماءة من رأسه ثم تابع :

ـ ولو قمنا بربط مسألة أن الضحيتين كانتا من (الجامعة الأمريكية) ، وأنهما كانتا من المدعوين فى حفل عيد ميلاد أمس ، مع مسألة الرموز وطريقة الموت المكررة المتشابهة ، لربما أمكننا أن نخلص إلى نتيجتين مهمتين ..

ورفع خنصره ليقول :

ـ الأولى أننا أمام قاتل متسلسل لانعرف من ضحيته التالية ..

ثم رفع بنصره ـ الذى لمع فيه خاتم خطبتنا الفضى ـ ليقول :

ـ وأن هذا القاتل ربما كان من المدعوين !

دائمًا أصل مع (هشام) إلى نقطة ألقى فيها بكل ما فى جعبتى أمامه ، هى فى الغالب النقطة التى يلتقى فيها مسارى تفكيريًا ، وهكذا وجدت نفسى أصارحه بكل شكوكى وألقى أمامه بكل ما توصلت إليه علّ بصائرنا تستنير قليلاً ..

لكن أهم نقطة أشرت إليها فى حديثى كانت شكّى فى (كنانة) ..

ـ من وجهة نظر القانون هو شك بلا أية أسانيد ..

ـ استدعها وقم باستنطاقها ، ستصل حتمًا إلى نتيجة ما ..

قال لى فى لهجة ساخرة :

ـ كنت أظنك ستفعلين هذا بنفسك !

قلت فى إباء :

ـ كلا ، إن أمامى مهمة أخرى ..

ـ الآن وقد جاوزت الساعة الثامنة مساءً ؟!

ـ ستفعلها من أجلى وتحادث أبى فى المستشفى لتخبره أننى لن أعود قبل العاشرة ، برغم علمى أنه لن يعود للمنزل الليلة كلها ، فلو حادثته بنفسى ، لن يقبل أن يرد علىّ ..

ـ وأين ستذهبين ؟!

ـ إلى (خلود) ، منجمة حفل الأمس ..

ـ هل ستستشيرينها بشأن الهراء الذى أدلت به فى الحفل ؟!

ـ كلا ، بل سأؤكد أو أنفى بذرة سوء ظن فى أعماقى ..

ـ سوء ظن ؟!

ـ إننى أتساءل عما إذا كانت (خلود) تشارك (كنانة) بالتخطيط لهذه العمليات !

صمت محاولاً أن يمنطق الأمر فى ذهنه ، ثم بدا أنه قد تذكر شيئًا ما بغتة فغمغم لنفسه سائلاً :

ـ نعم ، ولِمَ لا ؟!

ـ أهناك شىء ما ؟!

ـ تعالى لأريك شيئًا ..

ثم إنه سبقنى بخطوات واسعة حتى إننى عدوت فى إثره نحو البوابة الخارجية للفيلا ، كانت الأرض ماتزال موحلة ، والسماء قد أظلمت بحلول الليل مرسلة بظلامها هذا إلى أنحاء حديقة الفيلا الصغيرة ..

استل (هشام) من بين ملابسه كشافًا صغيرًا سلّطه فوق نقطة بعينها على الأرض ، ثم ركع على ركبتيه قائلاً :

ـ انظرى ..

فعلت مثلما فعل ، ودققت فى النقطة التى أشار إليها وهو يسألنى :

ـ هل يبدو هذا الأثر مألوفًا لكِ ؟! أعلم أنه سؤال غريب ولكن ..

قاطعته شهقتى مع التماع عينى فى الظلام من فرط الإثارة ، وأنا أهتف :

ـ إنها هى .. هى بكل تأكيد ..

ففوق أرض الحديقة الموحلة ، كان هناك أثر لحذاء نسائى مقاس (٣٨) انتهت صيحته منذ أكثر من عامين ..

حذاء تملكه فتاة نحيلة تدعى (كنانة) !

* * *

(ـ حذاء جميل ، مقاس (٣٨) أليس كذلك ؟!

أجابتنى فى تباه وهى ترفع قدمها حتى شاهدت النقوش أسفل حذائها :

ـ نعم ، لقد أحضرته من (سويسرا) !) !!!

!!!

* * *

٨

عنوان (خلود) كما هو مدون فى البطاقة التى أعطانى (أحمد) ـ كان اللّه فى عونه ـ إياها يقع فى واحدة من أرقى البنايات بـ (الدقى) ، بناية مكونة من أكثر من خمسة عشر طابقًا وتطل على النيل مباشرة ..

من أين أتت بهذا الثراء الفاحش ؟!

سألت نفسى وأنا أطالع وجهى البائس فى مرايا المصعد الكثيرة المتقابلة ، عينان ذابلتان بسبب الإرهاق وقلة النوم ، يكاد المنظار الطبى الحبيب الذى أرى الدنيا عبر عدساته يسقط من فوق أنفى ، خصلات متناثرة من شعرى القصير كأنى زعيمة ثائرة من زعيمات (الهيبز) فى الستينات !

ساعة معصمى تشير إلى ما بعد التاسعة بدقائق ، هل يكون لقدومى جدواه المنشودة ؟! أم أننى سأعود حاملة خفى (حنين) فوق كتفى أو تحت إبطى ؟!

لا أدرى وإن كنت أدعو الله أن يكون الأمر مثمرًا ولو بدرجة ضئيلة ..

انفتح باب المصعد عند الطابق الثالث عشر ، إن الأمريكيين يتطيرون بشدة من هذا الرقم ، حتى إنهم أضافوا إلى قواميس مصطلحات الطب النفسى مرض الخوف من الرقم (١٣) أو (فوبيا الـ ١٣) (Tridecophobia)(*) !

هل كان لتفكيرى هذا أى مغزى وأنا أقف أمام الباب الخشبى العريض ذى المصراعين ، والحامل للافتة ضئيلة كتب فوقها بخط النسخ الجميل كلمة (خلود) ؟!

ربما !

المهم أننى ضغطت زر الجرس ، وانتظرت ، ولم يطل انتظارى إذ انفتح أحد مصراعى الباب ليبرز من خلفه وجه فتاة ذو ملامح رقيقة ، لايبدو أنها قد جاوزت منتصف العقد الثالث بأى حال ..

ـ أفندم !

قالتها الفتاة من خلال بسمة متناغمة مع رقة ملامحها ، فقلت محاولة أن أبدو كزبونة من الوزن الثقيل :

ـ أرغب فى مقابلة السيدة (خلود) ، (سلفوبليه) !

هل أصلح فى هذا الدور حقًا ؟! لا أعتقد وإنما يكفينى شرف المحاولة ..

(*) حقيقة !

ـ معذرة ، ولكن هل لدى معاليكِ موعد سابق ؟!

معاليك ؟!

إما أننى قد نجحت فى إقناعها ، أو أنها تسخر منى ، لكن بسمتها الرقيقة التى لم تتبدل رجحت لدى الاحتمال الأول إلى حد ما ..

ـ كلاَ ..

نطقتها فى ثبات واعتداد ، فقفز الحرج فوق ملامحها وهى تحاول أن تقول :

ـ أنا آسفة حقًا ، ولكن ...

ـ أستطيع انتظارها لو كانت مشغولة ..

صمتت الفتاة كأنها تقلب الأمر فى رأسها ، فهاجمتها حتى لا أترك لديها مجالاً للتفكير ..

ـ إنها مسألة عاجلة لاتحتمل التأجيل ..

سألتنى فى تردد :

ـ من أى نوع ؟!

أجبتها فى حسم :

ـ من النوع الذى لا أستطيع الإفصاح عنه إلا للسيدة (خلود) بنفسها ..

ازدردت الفتاة لعابها ، ولم تتردد كثيرًا هذه المرة وهى تفتح لى المصراع الآخر ، ثم تفسح لى طريقًا للدخول ..

دخلت محاولة إخفاء رهبتى الداخلية ، بصعوبة رأيت ما أمامى ، ما من مصدر للضوء فى أنحاء الشقة الواسعة إلا تلك الحجرة المضاءة من بعيد ، المسدل فوق مدخلها ستار حريرى مزين بنجمات ذهبية تشبه تلك التى كانت تزين ثوب (خلود) فى حفل أمس التنكرى ، ثم ذلك الدخان المنبعث من اللامكان ورائحة (البخور) السودانى النفاذة التى لم أخطئ تعرفها ..

دق قلبى وقد غزته جيوش الدجل ، لكنى ارتديت قناع الجمود فوق وجهى ، وجلست حيث أشارت الفتاة وهى تقول :

ـ استريحى ها هنا ..

ثم إنها سألتنى :

ـ ماذا أخبرها عن هوية معاليكِ ؟!

أسقط فى يدى للحظة قبل أن أقول بلهجة واثقة جدًا :

ـ (نسرين) ..

ـ فقط ؟!

جادت قريحتى فى اللحظة الأخيرة بعبارة تعريف مناسبة ، أو هكذا رأيتها :

ـ من طرف (كنانة) !

اطمأنت الفتاة إلى كونى من طرف أحد ما ، فغابت خلف الستار الحريرى ، وغبت أنا فى الظلام الرمادى المحيط بى ..

* * *

ـ كنت أنتظرك !

الإيحاء ، هذا هو مفتاح عمل المنجمين منذ أقدم العصور ، حتى الحيات التى كانت تسعى فى بلاط (فرعون) اعتمد فيها سحرته على الإيحاء !

لكن لن أدع هذا يخدعنى أبدًا ، لن أسمح له ، أو لها بذلك !

لم أندهش حينما خرجت إلىّ الفتاة قائلة إن السيدة (خلود) تنتظرنى بالداخل ، ولم أندهش حينما عبرت الستار الحريرى

لأجدها تجلس أمام بلورة كروية بنفس ملابس أمس ، ولم أندهش من مرأى حجرتها المتسعة الممتلئة بالكتب المصفرة الأوراق ، والدمى القماشية المحشوة بالقطن والأقنعة الإفريقية المعلقة فوق الجدران ، واللوحات ذات الرموز العجيبة المتناثرة فى كل الأنحاء ، ولم أندهش كذلك لما قالته وردّدت بنفس لهجة حديثى معها بالأمس :

ـ هل أخبرتك بلورتك هذه بأننى قادمة ؟!

رائحة البخور هنا أقوى ، نعم ، إنه يحترق فى الموقد هناك مضيفًا على المكان ما أرادته صاحبته من غموض ، وها هى ذى (خلود) تبتسم فى إشفاق كأنها تخاطب طفلاً مشاغبًا لايريد الانتباه لدروسه :

ـ مازلت تبخسين التنجيم قدره إذن !

أردت أن أصرخ فى وجهها أن أحدًا لم يعد يؤمن بهذه الخزعبلات فى هذا العصر ، لكنى آثرت التريث وقلت :

ـ إن لدى أسئلة أعتقد أن إجاباتها عندك ..

ـ تفضلى بالجلوس أولاً ، أنت ضيفتى ..

أشارت إلى نمرقة منخفضة قليلاً ، جلست عليها وهى تتابع :

ـ وإكرامًا لزيارتك الأولى فلن أتقاضى أى مقابل لأسئلتك ، سلينى ما شئت ..

نسيت أنها تحترف التنجيم ، عامة ما كنت لأضيع قرشًا واحدًا فى هذا الدجل ، ثم من قال إننى هنا لاستشارتها بشأن قراءة طالعى ؟! سألتها فى مباشرة دون إلقاء بال لما تقول :

ـ ماذا رأيت فى كف (حسن) ليلة أمس ؟!

تجمدت ملامحها للحظة قبل أن تقول وقد ازداد صوتها عمقًا وجلالاً :

ـ لقد قضى المسكين نحبه إذن ..

كيف عرفت ؟! أردت أن أسألها لكنها أجابت وحدها :

ـ هذا ما أشار إليه خط العمر فى كفه !

يا للهراء ، لكنها تمثيلية ناجحة حقًا لو كان ما فى رأسى صحيحًا بخصوص شراكتها مع (كنانة) !

ـ أهذا كل شىء ؟!

ـ أراكِ لا تصدقين !

ـ و (ميادة) ؟! (سنووايت) التى أخبرتها أن رقم (٢) سيحمل لها خطرًا ما ؟!

رفعت حاجبيها المرسومين بدقة سائلة فى تعجب :

ـ هل قضت نحبها هى الأخرى ؟!

يا للبراءة الناعمة كبراءة الأفاعى !

ـ .. لم يكن هذا جليًا فى خطوط كفها الرقيق على أية حال ..

سألتها فى استنكار :

ـ هل تظنين أن أحدًا سوف يصدق كلامك هذا ؟!

ـ كلا ، لهذا لم أقل شيئًا أمس برغم وضوح كف زميلكم (حسن) إلى حد أفزعنى ..

ثم إنها نظرت نحوى لترى ـ بالتأكيد ـ نظرات التكذيب فى عينى ، ثم استطردت :

ـ إننى أتحدث عن علم ، لا عن خرافة ، إن (علم قراءة الكف) Palmistry معترف به عالميًا الآن ، وهو علم عتيق ذو جذور تعود إلى (الهند) لعام ٣٠٠٠ ق. م تقريبًا ، وكانوا يطلقون عليه (سامودريك شاسترا) ، ويعنى هذا بالهندية (محيط المعرفة) ؛ لأن الكف فى نظرهم أشبه بالمحيط الذى تجمعت فيه كل عناصر الكون من أرض وسماء ونجوم وكواكب ومخلوقات ، ولكن الاختلافات الفردية بين إنسان وآخر تظل موجودة ، كل فرد حسب وضوح كفه ..

سألتها فى لهجة هجومية حادة :

ـ وماذا رأيتِ فى كفى ؟!

قالت بكل هدوء :

ـ ما رأيته قلته ولم يكن لدى المزيد ..

عدت أسألها وحدتى تتزايد :

ـ هل أدخلتنى الآن لمجرد قولى إننى من طرف (كناتة) ؟!

صمتت وظلت ترمقنى ، فسألتها بنبرة قاربت الزعق بها :

ـ أنت تعرفينها منذ زمن بعيد ، حتى إنك كنت ضيفة شرف فى حفل سمر بفيلتها الصيف الماضى ، ما مدى علاقتك بهذه الفتاة ؟!

أجابتنى :

ـ برغم أنى لست مضطرة لإجابتك وأنت تسألين بهذا الأسلوب ، إلا أن كل ما هنالك أنها واحدة من زبائنى الدائمين ..

انتبهت لحدتى غير المفهومة وكأنى ضابطة مباحث تستجوب وغدًا لايريد الاعتراف برغم ثبوت الأدلة عليه ، فعدت لهدوئى وأنا أقول :

ـ إن للتنجيم زبائنه إذن !

ـ أكثر مما يستطيع عقلك أن يتصور ، من كل الطبقات والفئات والأنواع والأجناس ، إن من زبائنى من قد يقف شعر رأسك لو ذكرت لك أسماءهم !

كأنها تقول الحق !

ـ هل تبقت لديك أسئلة ؟!

كأنها تطردنى !

كدت أنهض معتذرة عن إضاعة وقتها الثمين فى استشارة مجانية لم أخرج منها بشىء لو لم نعتبر خفى (حنين) تحت إبطى شيئًا ، لكنى تذكرت شيئًا ما ..

دائمًا أتذكر الأشياء المفيدة فى اللحظات الأخيرة ..

ـ نعم .. سؤال واحد ..

ـ تفضلى ..

ـ هل هذا هو رمز (الحمل) بالفعل ؟

كنت أناولها روشتة أبى المرسوم فوقها رمز الـ (فورد) الزرقاء ، فتمعنت فيه قليلاً ثم قالت :

ـ نعم ، إنه الرمز الإغريقى للبرج كما رسمه (جالينوس) فى دائرة الأبراج الشهيرة .. وأشارت إلى الحائط المجاور لها قائلة :

ـ انظرى ، ها هى ذى ..

نظرت إلى حيث أشارت ، ورأيت دائرة مرسومة على ورق مصقول معلق فوق الحائط ، وقد قسمت إلى اثنى عشر قسمًا فى كل قسم قبع رمز غريب كان من بينها رمز (الحمل) ورمز الـ (٢) الرومانى الذى رسمه القاتل بـ (الكاتشب) إلى جوار (ميادة) ..

أخذت أحدق فى الرموز كأنى أريد أن أنقشها فى مخى ، بينما قالت (خلود) :

ـ إن للأبراج الشمسية معنى أكبر بكثير من الذى يفهمه العامة على أنه قراءة أبواب الحظ فى الصحافة ، هذا ليس تنجيمًا وإنما تسلية ، فالتنجيم الفعلى مبنى على الفلك ، إن الخريطة التنجيمية الحقيقية هى صورة السماء بكل أجرامها فى لحظة ميلاد الإنسان بدقة وهو ما يصعب تسجيله ، لذا نلجأ للتصنيف على أساس الأبراج الشمسية التى يحكم كلاً منها كوكب بعينه (باعتبار الشمس والقمر كواكب أيضًا)

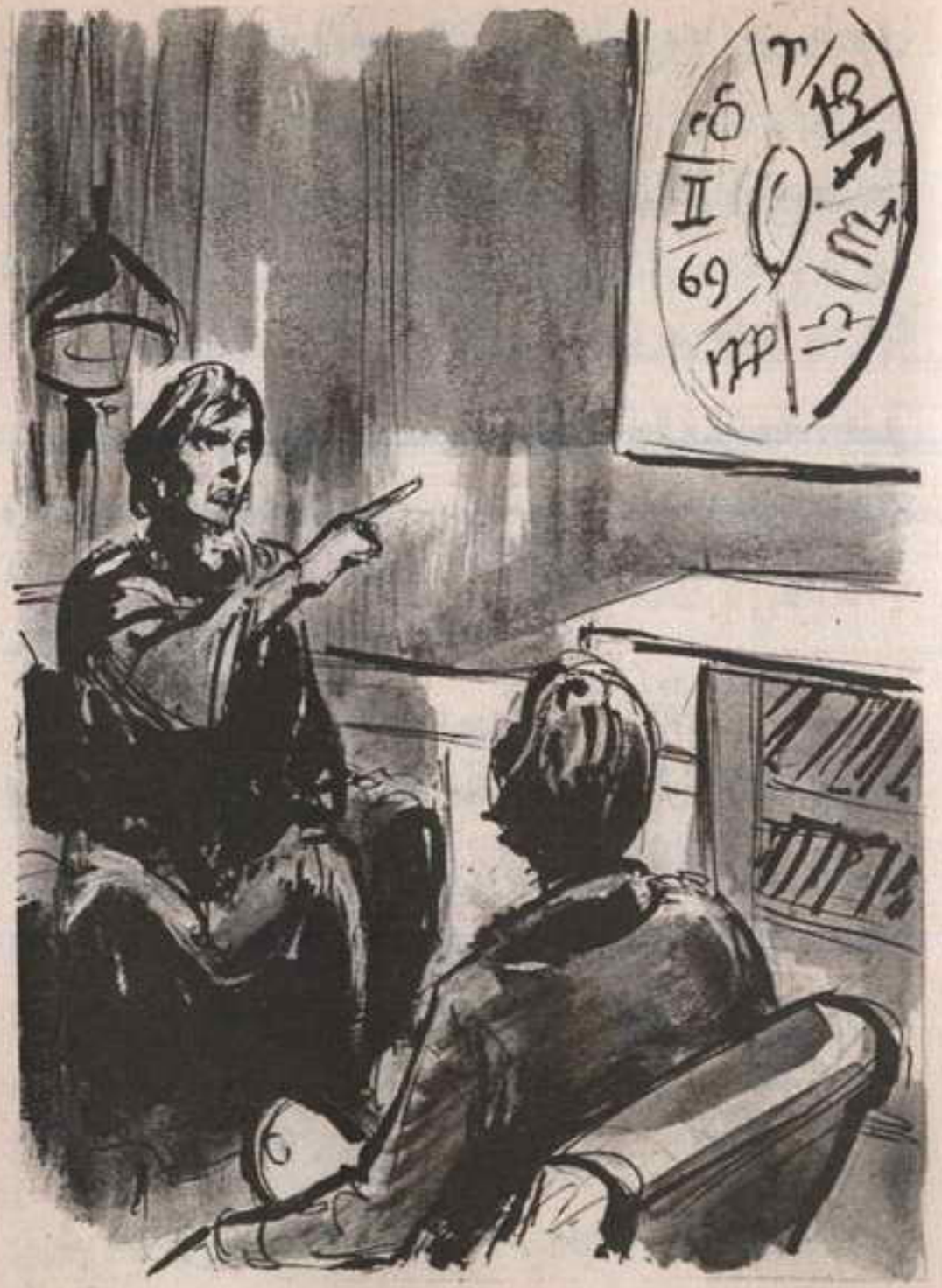

نظرت إلىّ حيث اشارت ، ورايت دائرة مرسومة على ورق مصقول معلق فوق الحائط ..

نحو مزيد من الفهم للنفس الإنسانية وتجاربها فى طريق الحياة الممتد بين ميلاد وموت ..

أحدق فى دائرة الأبراج أكثر ، (الحمل) ثم (الجوزاء) ثم ماذا ؟!

تتابع (خلود) :

ـ لقد حلل الإغريق الطبيعة إلى عناصر أولية أربعة : النار والتراب والهواء والماء ، ونسبوا كل ثلاثة من الأبراج الشمسية إلى أحد هذه العناصر ، لتكون المحصلة اثنى عشر برجًا بالتمام والكمال ..

وجدتها تقف خلفى فجأة ، تحدق فى الدائرة مثلى ، وتشير إلى كل قسم منها على الترتيب مفسرة لى كل رمز على حدة ..

ـ الحمل رمز النفس ، الثور رمز التملك ، الجوزاء رمز التواصل ، السرطان رمز المأوى ، الأسد رمز السعادة ، العذراء رمز العافية ، الميزان رمز المشاركة ، العقرب رمز الغريزة ، القوس رمز الفلسفة ، الجدى رمز المؤانسة ، الدلو رمز الصداقة ، الحوت رمز الضمير ..

ثم إنها أشارت إليها بترتيب آخر مواصلة الحديث بلهجتها الأخاذة :

ـ القوس والحمل والأسد ، شارات النار بكل جموحها وعلوها وغضبها ، الجدى والعذراء والثور ، شارات التراب بثبوته ورسوخه وبقائه ، الدلو والميزان والجوزاء ، شارات الهواء بخفته ورشاقته وتحليقه ، والعقرب والحوت والسرطان ، شارات الماء بجريانه وسيولته وإمداده للحياة ..

هل هى من المشاركين فى الجريمة ؟!

ربما ..

هل هى (كناتة) حقًا ؟!

كل الدلائل تقول هذا ..

من الضحية التالية إذن ؟!

سنضطر للانتظار حتى نكتشفها كالضحيتين السابقتين ..

هكذا أستطيع العودة إلى المنزل بلا ندم على مجهود ضاع هباء ..

نقطة مهمة للغاية كشفتها لى هذه الزيارة ، القاتل يمارس جرائمه من خلال دائرة الأبراج وفق ترتيب معين ، (الحمل) أولاً ـ وترك (الثور) فى المنتصف ـ ثم (الجوزاء) فهل يترك (السرطان) ثم يقتل (الأسد) ؟!

مادامت جريمة كهذه لم تتم بعد ، فلا محيص عن الانتظار ..

نقطة أخرى غريبة ـ لا أدرى إن كانت تستحق الذكر أم لا ـ هى أن (كناتة) ـ المشتبه فيها رقم (١) بالنسبة لى ـ هى الوحيدة التابعة لبرج (الأسد) من بين مدعوى حفل أمس !

(... لقد خمنت منذ البداية أنك تتبعين برج (الأسد) !)

فما معنى هذا ؟!

لا محيص عن الانتظار كما ذكرت ..

المهم أننى قبل أن أغادر شقة (خلود) ، قالت لى الأخيرة وهى تناولنى الروشتة المرسوم فوقها رمز (الحمل) :

ـ هل الدكتور (فاروق الجبالى) من أقربائك ؟!

وجدتها تشير إلى اسمه المطبوع فى ركن الورقة العلوى ، فأجبتها هازة كتفى :

ـ نعم ، إنه أبى !

ـ هكذا !

قالتها بلهجة لم تعجبنى ، فعدت أسألها أنا :

ـ لماذا تسألين ؟!

ـ لاشىء ، مجرد سؤال !

ظلت لهجتها لاتعجبنى ، وغادرت الشقة كلها وأنا أسأل نفسى عن معنى ما قالت ، لكن عقلى المنهك لم يهتد لأى شىء !

★ ★ ★

هل هو قاتل متسلسل ؟!

ربما ... ولِمَ لا ؟!

★ ★ ★

أخبرتنى شكبة (إنترنت) بالكثير عن القتلة المتسلسلين ، ويبدو أن درس السيدة (ألفت) قد آلمنى إلى الحد الذى لم أطق معه صبرًا حتى الصباح ..

أولاً : ينبغى أن نفرق بين القاتل المتسلسل Serial Killer والقاتل الجماعى Mass Murderer ، فالأول يقتل على فترات ، والثانى قد يقتحم مثلاً مكانًا مليئًا بالناس ويطلق النار على الجميع فيرديهم صرعى ..

ثانيًا : ابتكر هذا المصطلح عميل المباحث الفيدرالية الأمريكى (روبرت ك .كريسلر) عام ١٩٧٠ فى أثناء مطاردته للقاتل المتسلسل (دافيد بيركويتز) فى قضية بشعة اشتهرت بـ (ابن سام) ، وتفاصيلها منشورة على الشبكة لمن أراد الاطلاع عليها ، لكنى لا أنصح مرضى القلب والمرهفى المشاعر بفعل ذلك ..

ثالثًا : فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تم القبض على أكثر من ٥٠ شخصًا قتلوا أكثر من ٥٠٠ شخص فى قضايا من هذه النوعية ، وتاريخيًا يعد (جاك السفاح) هو أول قاتل متسلسل ، وقد ظهر فى لندن وقتل عام (١٨٨٨) وحدها خمس نساء فى غضون عشرة أسابيع ومثل بجثثهن تمثيلاً فظيعًا ، والمدهش أن الاسم يعد نوعًا من الأسطورة إذ لم يتم القبض عليه أبدًا فى وقتها ..

رابعًا : ليصنَّف قاتل على أنه متسلسل فلابد أن يتوافر فيه الصفات التالية :

١ ـ قتل أكثر من ٣ ضحايا . (ليس قاتلنا هنا متسلسلاً بعد ..)

٢ ـ يستمر فى القتل حتى يقرر التوقف أو يحدث مايدعوه لذلك ، ولكن بلا جدال فإن هناك دومًا ضحية قادمة ..

٣ ـ ليس الدافع هو المال أو الانتقام ، إنه ببساطة مدفوع للقتل بلا دوافع ، فكما نحتاج نحن للماء ، يحتاج هو للقتل ..

٤ ـ لابد أن تكون هناك بين كل جريمة وأخرى فترات كمون تمتد من ساعات قلائل إلى سنين طويلة ..

٥ ـ يعمل منفردًا إلا فى حالات نادرة..

خامسًا : يقسم القتلة المتسلسلين إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : نوع كثير الأوهام وهو عصابى مختل عقليًا يسمع أصواتًا على شكل نداءات فى رأسه تدعوه للقتل ..

النوع الثانى : نوع الإعداد للمهمة وهو لايبدو مختلاً للعالم الخارجى ولكن للداخل إذ يريد إنقاذ العالم وتخليصه مما يراه لا أخلاقيًا أو ينفذ مشيئات عليا معتبرًا نفسه أداة فى يد القدر ..

النوع الثالث : نوع دافع الاستمتاع ، فهو يقتل ليصل إلى حالة مزاجية عالية ويُعد أكثر الأنواع الثلاثة سادية ..

النوع الرابع : نوع دافع اللذة ويقتل ليصل إلى نشوة أعلى من الحالة السابقة ..

الآن عرفت لماذا رأتنى السيدة (ألفت) رعناء متسرعة، لقد اعتبرت قاتلاً لضحية واحدة متسلسلاً، وحشوت تحقيقى برأيى ـ الذى أعترف الآن كم هو سوفسطائى ـ عن خدعة القتلة المتسلسلين، وبعد كل الذى شاهدته عبر فضاء المعلومات أعترف مرة أخرى بأننى كنت أمارس أبشع أنواع الجهل، وهو الحماقة !

شعرت بعينى تؤلماتى بعد أكثر من ساعة من الإبحار فى الشبكة، عندما رن جرس هاتفى المحمول، كان (هشام) يحادثنى من مكتبه ..

ـ مع من تتحدثين طوال ساعة كاملة ؟!

ـ لا أحد، لقد كنت أجوّل فى (إنترنت) !

ـ أعان الله الدكتور (فاروق) على فاتورة الهاتف ..

ـ إنه لن يدفعها من جيبك، أرح نفسك ..

ـ ماذا فعلت مع المنجمة ؟!

رويت له كل ما حدث، وقال هو عندما فرغت :

ـ لقد أرسلت بدورى استدعاء لـ (كناتة) هـذه غدًا صباحًا ..

ـ جيد، سأكون عندك قبل أن تأتى هى ..

ـ لكنك تعلمين بالطبع أنه من غير المسموح حضورك لاستجوابها ..

ـ أعلم، لكنه فضولى لاستطلاع النتائج أولاً فأولاً ..

ـ ليكن، ماذا ستفعلين الآن ؟!

ـ سأشاهد التلفزيون قليلاً ثم أنام، لن يحضر أبى الليلة كما توقعت ..

ـ بالفعل، لقد أخبرنى أنه لن يعود إلا فجرًا ..

ـ جيد أنك تذكرت ..

انتهت المحادثة بعدها، وجلست أتابع سخافات القنوات الفضائية حتى غلبنى النعاس وأنا جالسة ..

لم يكن فى رأسى وقتها شىء سوى سؤال واحد :

أين السيد (س) ؟!

لماذا لا يتصل ؟!

أين هو ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

٩

أضاءت نقطة ما فى بحر الظلام ، لكنى برغم هذا لم أستطع رؤيته ..

ـ الظل من جديد؟!

سألته بلا صوت ، دون أن تتحرك شفتى ..

ـ أنا منه وإليه ..

ـ أعياتى سؤالك من تكون ؟!

ـ ليتنى أعرف !

ـ حتى متى ؟!

ـ حتى يحين الحين ..

ليتنى ألمح شيئًا مميزًا فى وقفته المظلمة هذه ، بيد أنى أعرف أنى لن أستطيع ..

ـ أين أنت ؟! لماذا تأخرت ؟!

ـ أنا لا أذهب إلا لكى أعود ..

ـ أأنت ذاهب الآن ؟!

ـ بل عائد !

ـ أحيانًا يطول غيابك ..

ـ لكنى دومًا أعود !

ما هذا الصوت الغريب ؟! يبدو أشبه بصفير الحشرات الليلية المتقطع !

ـ ... هأنذا !

★ ★ ★

أيقظنى رنين هاتفى المحمول ، يبدو أننى قد نمت أمام التلفزيون المفتوح !

كم الساعة الآن ؟!

ياااه .. الثالثة صباحًا ؟!

ـ آلو ...

ـ الليلة الثانية على التوالى تنسين جرس هاتفك مفتوحًا ..

طار النوم من عينى ، إنه هو من جديد ..

ـ السيد (س) ؟!

ـ لعلك كنت فى انتظارى ..

ـ إننى .. أعنى ...

قاطعنى صوته الذى لم يعرف المزاح هذه المرة ..

ـ لا وقت لأى شىء ، إن الدائرة ما زالت تدور ..

ـ هل تعنى دائرة الأبراج الشمسية ؟!

ـ أعنى دائرة الموت ..

سألته وأنا أرتعد من فرط الإثارة :

ـ من هذه المرة ؟!

ـ حاولى إنقاذ الضحية ، لو فعلتها فسوف تتوقف الدائرة البغيضة عن الدوران !

ـ من ؟

ـ السؤال الصحيح هو : أين ؟! إليك العنوان .. مدينة نصر ـ شارع ...

قاطعته هاتفة فى ارتياع :

ـ لكن هذا مستحيل ، الساعة الآن الثالثة وأبى غير موجود بالمنزل ..

ـ لو كان هذا هو عذرك ، إليك ما يخلصك منه فى الحال ..

بمجرد انتهاء عبارته سمعت صوت دوران مفتاح أبى فى ثقب الباب ، وبمجرد أن فرغ السيد (س) من إعطائى العنوان أغلق الخط ..

ـ إلى اللقاء يا صغيرتى ! لا تتأخرى ..

أراد أبى أن يدخل دون أن يصدر أى صوت من شأنه إزعاج وحيدته النائمة ، لكنه تسمر عند الباب الموارب وهو يرمقنى جالسة فوق الأريكة ، أمامى تلفزيون مفتوح ، وعلى أذنى جهاز هاتفى المحمول يصدر النغمة المتقطعة التى تعنى انقطاع الخط ..

لم يجد ما يقوله إزاء هذا الموقف المباغت سوى :

ـ مساء الخير !

يقصد (صباح الخير) طبعًا ، جيد فى كل الأحوال أنه نسى أمر خصامنا ..

لكنى ـ للحق ـ لم أكن أفكر وقتها فى شىء من هذا ، إذ احتل عقلى وغزا وجدانى سؤال يتيم : هل من الممكن أن يكون أبى هو السيد (س) ؟!

★ ★ ★

ـ لا أعرف كيف وافقتك على أمر كهذا ؟!

قالها أبى وهو يضغط كابح سيارته أمام البناية الحديثة الفخمة فى شارع (عباس العقاد) ، فقلت محاولة أن أبدو على مستوى الموقف :

ـ لأنك أكثر أب حنون فى هذا العالم بأسره !

زفر للحظة متطلعًا للبناية فى عدم اقتناع ، ثم قال كأنه يعاتب نفسه :

ـ يبدو الأمر فى النهاية كعبث أطفال ليس إلا ..

ـ أنت تعلم أنه ليس كذلك يا أبتِ ، ولولا هذا لما أتيت بصحبتى ولأمرتنى بلزوم المنزل ، ولأطعت أمرك دون نقاش ..

زفر مرة أخرى ، فمددت يدى لأربت على كتفه قائلة فى همس :

ـ صدقنى يا أبى ، لو كنت وصلت مبكرة قليلاً فى المرة السابقة ، لأمكننا إنقاذ حياة إنسان من القتل ..

سألنى فى لهجة أب خائف على ابنته :

ـ وكيف ستصعدين إلى الشقة المطلوبة ؟! هل ستتسلقين المواسير كـ (نانسى درو)(*) ؟

ـ إننى أفضل الطرق المباشرة ، سوف أصعد وأضغط الجرس !

ـ ماذا لو فتح لك أحدهم وظن بك الظنون ؟! ماذا لو أن هناك غفير أو ...

قاطعته على الفور :

ـ لتأتِ بصحبتى إذن ..

وكأنه كان ينتظر منى عبارة كهذه ، هبط على الفور ، وتأبطت ذراعه نحو مدخل البناية وأنا واثقة من أنه يلعن الآن فى أعماقه اليوم الذى ولدت أنا فيه !

لم يكن هناك بواب مستيقظ لحسن الحظ ، وهكذا دخلنا فى أمان ، وعند الطابقِ السابع كان أبى يلهث ـ وأنا مثله ـ إذ كان المصعد معطلاً لسوء الحظ ، وأمام باب الشقة المستهدفة ـ حسبما أعطانى السيد (س) العنوان ـ وقفت بجواره أضغط زر جرس الباب ، ولكن انتظارنا طال دون أن يجيب أحد ..

(*) (نانسى درو) بطلة شهيرة لسلسلة روايات حركة أمريكية تحمل اسمها !

وللحق ، فقد كان أمر لا غرابة فيه ، لو طرق كائن من الفضاء الخارجى بابى فى ساعة كهذه فلن يجد من يعيره أدنى التفات ، فمن ذا الذى يستطيع أن يهجر دفء مضجعه لمجرد أن زائرًا سخيفًا من زوار الفجر يطرق بابه ؟!

لكن هذا ينطبق على ظروف عادية لا يوجد فيها مكالمة ليلية من السيد (س) ..

بدأ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر يبين من خلال النافذة المطلة على منور البناية ، وتناهى إلى أسماعى زقزقة أسراب عصافير الفجر من فوق أفنان الشجر المنتصب أمامها عبر النافذة ، وعدت أضغط الجرس ..

ـ يبدو أنه لا أحد هنا ، هيا بنا نعود ..

قالها أبى بعد لحظة أخرى من الانتظار ، ولكنى لم أرد ووقفت واجمة كتمثال نحته مثّال شاب يمثل البلاهة النائمة ، أخذت أفكر وأفكر ، ثم جعلت أفكر وأفكر ، ضغطت الجرس أكثر من عشر مرات بإلحاح شديد لكن النتيجة ظلت سلبية ..

ـ هيا يا (نسرين) ، يكفى هذا يا حبيبتى ..

همس بها أبى ، ويبدو أنه كان محقًا ، لذا استدرت معه

عائدة إلى السلم ، عندما ظهر الحل كالمعتاد فى اللحظات الأخيرة ..

ـ لحظة يا أبى ..

ـ ماذا هناك ؟!

التفتّ ناظرة نحو نافذة المنور ، لأرى نافذة مطبخ الشقة / الهدف مفتوحة على مصراعيها بلا قضبان حديدية تعوق الدخول عبرها أو الخروج منها ، بدا الظلام داخل الشقة من خلالها دامسًا مرعبًا ، ولكن هذا لم يجعلنى أفكر فى التراجع ..

سأدخل الشقة عبر هذه النافذة وليكن ما يكون ..

ـ انتظرنى هنا يا أبى ..

ـ أين ستذهبين ؟!

وجدت نفسى أتسلّق نافذة المنور ، وأجلس على حافتها السفلية ، وهتاف أبى الغارق فى الذعر الهامس يطاردنى :

ـ ماذا تفعلين ؟! هل جننت يا فتاة ؟!

ـ إن (ناتسى درو) ليست أفضل منى فى شىء !

عبرت النافذة بجسدى ثم انتصبت واقفة فوق الإفريز ، وأخذت ركبتاى تصطكان ببعضهما من فرط الخوف الذى اعترانى لحظتها ، واستمر أبى يلاحقنى بهمسه المذعور :

ـ (نسرين) .. كلا .. اهبطى الآن فورًا ..

أى حركة خاطئة كانت كفيلة بجعلى أسقط من ارتفاع سبعة طوابق ، أى عثرة أو زلة قدم وأنا أنقل قدمى بحرص فى الطريق إلى النافذة الأخرى كانتا ستكتبان شهادة وفاتى لامحالة ، خاصة وأن يدىّ لم تكونا تمسكان بأى شىء سوى الحائط من خلفى .. وهو مالم يكن ليحول دون سقوطى فى حالة حدوث أى خطأ !

كدت أتعثر بالفعل عندما مرق فى رأسى خاطر مزعج ، ألا وهو كيف سأتصرف لو استيقظ أحد سكان البناية فجأة ورآنى على هذه الحال عبر نافذته المطلة على المنور ؟! إن عذر ممارسة تمارين الصباح السويدية على طريقة لصوص المنازل لن تكون مقنعة إلى هذه الدرجة ..

لكن الله سلّم ، فلا أنا سقطت ، ولا أحد من السكان رآنى ، وقفزت فى النهاية إلى مطبخ الشقة ولهاثى يكاد يستحيل صراخًا انفعاليًا هستيريًا حادًا !

هأنذا أقف حيث أرادنى السيد (س) أن أكون ..

مَن الضحية التالية إذن ؟!

اجتزت باب المطبخ نحو الصالة الغارقة فى الظلمة ، أخذت يداى تبحثان عن زر الإنارة فوق الحائط حتى عثرت عليه بعد وقت ، وعندما أضىء المكان شهقت فى فزع رهيب ..

هذه الجثة الممددة فوق أريكة الصالة الوحيدة إذن هى الضحية رقم (٣) ..

ـ أبى ..

ناديته من خلال نافذة المطبخ ، فهتف بنفس نبرته الخافتة عبر نافذة المنور :

ـ ش ش ش .. اخفضى صوتك ، ماذا وجدت عندك ؟!

ـ اتصل بالشرطة فورًا ..

ـ ماذا ؟! قتيل آخر ؟!

ـ بل قتيلة .. قتيلة يا أبى !

كنت محقة ، (كنانة) فتاة على ما أعتقد !

ـ سأفعل على الفور ..

واتجه نحو الدرجات الهابطة بالفعل ، لكنه استدار يسألنى عندما تمالك نفسه ::

ـ وماذا ستفعلين أنت ؟!

ـ سأبحث عن الرمز ، هيا يا أبى أسرع ..

لم يفهمنى تمامًا لكنه ذهب يستدعى الشرطة بالفعل ، بينما وقفت أنا بعينى المحمرتين أرمق المشهد المأساوى ..

(كنانة) أصبحت جثة هامدة ، ممددة بجسدها النحيل الهزيل فوق أريكة قديمة تتوسط الصالة بمفردها ، وقد شمرت كم ساعدها الأيمن حتى بلغ منتصف ذراعها ، وهناك رباط من الجلد الأسود حول المنطقة المكشوفة من الذراع ، وبقايا محقن مستعمل سقط منها أسفل الأريكة مباشرة ..

اقتربت أكثر ، أمسكت بقنينة صغيرة داكنة ساقطة بجوار المحقن ، قرأت ما فوقها وأدركت هول وبشاعة المأساة ..

يبدو أن القتيلة كانت مدمنة لـ (الماكس فورت) ، أخطر أنواع (الأمفينات) المؤدية للهزال وفقدان الشهية للطعام ، لهذا فقدت الكثير من وزنها على مايبدو .. عدت أحاول قياس نبضها مرة أخرى علّنى أكون مخطئة فى المرة الأولى ، لكنها ـ بلامراء ـ محض جثة هامدة لاروح فيها ..

وبدأت أستعيد ذكرى ما ..

★ ★ ★

(... سوف تعيشين حياتك المليئة بالسعادة الزائفة ، مستمتعة بكل لحظة تمر فيها ...)

(... لتستيقظى فى النهاية على جرس الرحيل إلى الشمس ، ولن يفوتك القطار أبدًا ...)

(... موعدك هناك ياصغيرتى ، مع الرقم (٣) ..)

(... لقد خمنت منذ البداية أنك تتبعين برج (الأسد) !

★ ★ ★

ـ هذا لايعنى أنها ليست القاتلة !

قالها (هشام) وهو يجول ببصرة فى أنحاء الشقة الخالية إلا من أريكة الصالة ، وكان الإرهاق قد بلغ منى مبلغه حتى إنى كنت أفتح عينىَ بصعوبة ، لذا سألته بعد عناء :

ـ تعنى أنها قتلت نفسها فى النهاية ؟!

أشار (هشام) إلى الحقن والقنينة داخل كيس الأحراز البلاستيكى قائلاً :

ـ ربما لم تتعمد هذا ، أليس من الممكن أن يكون سبب الوفاة جرعة زائدة من المخدر ؟!

أردت أن أخبره أن السيد (س) هو من دلنا على حدوث الجريمة ، لكنى لم أستطع ، فتخليت مؤقتًا عن هوايتى الأثيرة فى استفزازه ، وقلت :

ـ دع تحديد هذا للطبيب الشرعى ..

ألقى (هشام) بنظرة أسى على الجثة الممدة فوق الأريكة قبل أن يمصمص شفتيه مغمغمًا :

ـ يا لفتيات الطبقة الأرستقراطية الضائعة !

ثم التفت نحوى سائلاً :

ـ ألم تلاحظى أن الضحايا الثلاث حتى الآن من طلبة الجامعة الأمريكية ؟!

هززت رأسى بالموافقة وقلت محاولة جمع شتات أفكارى :

ـ وأن الثلاثة يعيشون بمفردهم منعزلين أغلب الوقت !

ـ نعم ، لكن (كنانة) ـ حسب أقوال البواب والجيران ـ كانت تتردد على هذه الشقة من مرتين إلى ثلاث فى الأسبوع لأكثر من أربعة أعوام ماضية ، بالتأكيد لكى تتعاطى جرعتها من المخدر ..

قلت مصححة له :

ـ (الماكس فورت) من منشطات الجهاز العصبى المركزى ولا يعتبر مخدرًا !

أشاح بيده فى الهواء ممتعضًا وهو يقول :

ـ ليكن ما كان ، المهم أننا لن نستطيع استجواب الفتاة اليوم !

ثم هز كتفيه مضيفًا :

ـ وهو ما يهدد بتقييد القضية ضد مجهول وحفظها ..

فتر اقتناعى بكونها القاتلة بعد موتها ، ثم ..

ـ هناك نقطة ما تحيرنى ..

ـ أى نقطة ؟!

ـ الرمز ، إنها من برج (الأسد) ، خامس أبراج الدائرة التنجيمية ، ولم أعثر بعد على الرمز الخاص بالبرج برغم أننى قلبت الشقة رأسًا على عقب بحثًا عنه قبل حضوركم !

قال (هشام) فى بساطة :

ـ ربما نسيت تركه قبل وفاتها ، وربما لم تجد حاجة لهذا إذ كنا سنكتشف المغزى بأنفسنا سواء تركت الرمز أو لا ..

أراد أن يسألنى بالتأكيد عن مكانه ، لكنى تركته واتجهت ببطء نحو الجثة ، وقمت برفع كم قميصها الأيمن حتى نهاية الذراع ..

ـ هذا لو اتفقنا على كونها القاتلة !

ـ أنت التى كنت تحاولين إقناعى بهذا أمس !

نظرت نحو (كنانة) ، ورأيت شيئًا ما لم يلفت نظرى من قبل وأنا أقول له :

ـ لكن موتها قد ...

بترت عبارتى بغتة وأنا أنظر لها ، ودهش (هشام) حتى إنه نظر نحوها بدوره سائلاً إياى :

ـ ما الأمر ؟!

ـ أعتقد أننى قد وجدت الرمز ..

أراد أن يسألنى بالتأكيد عن مكانه ، لكنى تركته واتجهت ببطء نحو الجثة ، وقمت برفع كم قميصها الأيمن حتى نهاية الذراع ، لأبتسم فى النهاية بسمة هى الشحوب بذاته وأنا أقول :

ـ ها هو ذا ، كان جزء منه هو الظاهر فقط لكنه كان متداخلاً مع الرباط الجلدى الأسود ، إنه رمز برج (الأسد) كما رأيته عند (خلود) بالأمس ..

حدق (هشام) فى ذلك الوشم المدقوق فوق الذراع باللون الأسود ، ولابد أنه سلم بصحة ما قلت ، عرفت هذا من نظرة عينيه ..

ـ هذا أيضًا لايعنى أنها القاتلة ، أقصد أنها ليست القاتلة !

ـ سواء أكانت أم لم تكن ، أسرع باصطحابى للمنزل قبل أن أخر نائمة ها هنا ..

ـ حسن ولكن ..

ـ أعرف ، سأكون لديك فى الثانية عشرة ظهرًا بالثانية لأدلى بأقوالى .. هيا بنا ..

ـ ..... !

★ ★ ★

١٠

نمت بعمق ، وبرغم أن المنبه قد رن جرسه بإلحاح عند الحادية عشرة كما ضبطته عند عودتى ، إلا أن ساعات النوم القليلة لم تكن لتكفينى بعد استيقاظ يومين كاملين تقريبًا ، فما كان منى إلا أن أقفلت زر الجرس ـ وأنا فى مرحلة اللاوعى النعاسى ـ ثم عدت أنكمش على نفسى فى وضع الجنين الذى أفضله دائمًا عند النوم ..

وفتحت عينى بغتة لأجد عقارب المنبه تشير للواحدة والربع ظهرًا ، فقفزت من فوق السرير كأننى دمية (اليويو) ألقيت من الطابق المئة ..

لقد تأخرت كثيرًا على موعد (هشام) ، وفقدت بهذا التأخير واحدة من أهم الخصال المحمودة القليلة فى شخصى المتواضع !

تبًا لسلطان النعاس وسحقًا !

فى الساعة الثانية إلا الربع كنت أهبط من سيارة الأجرة أمام مبنى المباحث الجنائية وبخطوات سريعة للغاية اتجهت نحو الدرجات الصاعدة إلى بوابة المبنى الزجاجية التى يقف أمامها أحد رجال الأمن المركزى كالديدبان ، وفى منتصف الطريق الصاعد سمعت صوتًا ينادى باسمى ..

آنسة (نسرين) ؟!

سمعت هذا الصوت من قبل ، متى ؟! لا أذكر ..

ـ من ؟!

نطقتها لا إراديا وأنا أرفع رأسى نحو محدثى الماثل أمامى مباشرة ، وتعرفته فور وقعت عيناى عليه ..

ـ (مؤنس) ؟!

تعرفت وجهه على الفور ، كان كما هو بلا علامة مميزة ، شاب عادى تمامًا ، وهو ابن خالة (مروة) وطالب (علم النفس) الذى تعرفته فى حفل أمس الأول لو تذكرون .

صافحته وأنا أسأله :

ـ ماذا تفعل هنا ؟!

ـ استجوابات بشأن (ميادة) رحمها اللّه ،، إن أغلب من كانوا فى الحفل موجودون فوق الآن !

سألته دَهِشة :

ـ و (أحمد) أيضًا ؟!

تأتأ نافيًا وهو يهز رأسه يمنة ويسرة ، ثم قال مجيبًا :

ـ كلا ، مازال معتصمًا فى غرفته رافضًا للطعام والشراب والحديث منذ زلزله سماع النبأ الحزين ..

قلت فى إشفاق وقد ترقرقت مقلتىَ بالدموع :

ـ المسكين ، كان يحبها حقًا ..

أشار نحوى بسبابته مصححًا :

ـ ومازال ، هذا هو ما يجعله مكتئبًا !

لن أجارى دارسًا لعلم النفس ، وعمومًا فقد قطع علىَ سبل الرد بقوله :

ـ تفضلى !

كان يشير إلىَ بعلبة من اللادن بنكهة النعناع ، وأنا أعشق هذا النوع من اللادن بالذات ..

ـ شكرًا ..

ألقيت بقطعتين فى فمى أخذت ألوكهما ، بينما أعاد هو العلبة إلى جيبه قائلاً :

ـ تمنياتى القلبية بسرعة العثور على القاتل الوغد ، إننى تواق لقراءة التحقيق الذى سوف تكتبينه عن هذه القضية ..

ـ جميعنا هذا الشخص يا عزيزى !

ـ لكنى أضمن مكانًا ولو ضئيلاً فى هذا التحقيق ، دعينى أخبرك عن نظرية شهيرة يتبناها أحد علماء النفس الإجرامى فى الولايات المتحدة هذه الأيام ، مفادها أن جميع الناس على الأرض هم قَتلة بالفطرة ، وأن القاتل الخارج على القانون فى نظر المجتمع ما هو إلا رجل ينفذ مايرغب أى إنسان آخر في عمله ، وله جملة شهيرة تقول : (لو كانت أحلامنا خيولاً لجرت خلفها نعوش من نحب !)

هذا الشاب متحدث جيد ، لكنى لم أكن أملك الوقت ، لذا ابتسمت فى مجاملة وأنا أقول :

ـ دع الأحداث تقرر دورك فيها يا عزيزى !

كأنه لم يسمعنى واصل :

ـ وللكاتب (توماس هاريس) صاحب رائعة (صمت الحملان) جملة جيدة يمكنك أن تستغليها فى كتابة التحقيق ، لقد ورد ذكرها فى روايته العملاقة (التنين الأحمر) على لسان بطله (ويل جراهام) ، وإنه يقول : (من الصعب الإمساك بقاتل مضطرب عقليًا لعدة أسباب ، أهمها أنه لايوجد دافع يمكن تقفّيه ، وأنه هو نفسه غير مدرك لكونه يفعل هذا) !

ـ هذه جيدة حقًا ..

ـ ما رأيك إذن فى ..

بدأ يتحول للنوع الثرثار المثير للأعصاب ، لهذا قاطعته قائلة :

ـ أنا آسفة يا (مؤنس) ولكن (هشام) خطيبى ينتظرنى فى مكتبه ..

تنحنح فى حرج ، ثم قال :

ـ آسف ، لم أقصد تعطيلك ..

ـ لا مشكلة ..

وافترقنا !

★ ★ ★

ـ لقد قُضِى عليها بنفس العقار إذن !

قلتها لـ (هشام) فى حماس ، فصمت يرمقنى دون أن ينبس ببنت شفة ، وتابعت دون أن ينقص حماسى أنملة :

ـ لقد توقعت هذا !

لم يرد علىّ بكلمة ، فسألته فى استغراب :

ـ ما بك ؟! أكل هذا لأنى تأخرت ؟! لقد أخبرتك أننى لم أنم منذ ...

قاطعنى سائلاً فى ضيق بالغ :

ـ من هذا الذى كنت تحادثينه لأكثر من عشر دقائق عند البوابة ؟!

ارتفع حاجباى فى دهشة لاحدّ لها وكدت أنفجر ضاحكة فى وجه (هشام) ، لكنى تمالكت نفسى حتى لا أزيد من نيران ثورته المكبوتة !

يا لغيرته القاتلة التى لا أتوقعها أبدًا !

ـ إنه ..

قاطعتنى طرقات جندى سارع بفتح الباب ليؤدى التحية العسكرية أمام (هشام) ويصيح ، كأنه حاجب فى قصر الخليفة العباسى :

ـ أحضرنا المشتبه فيه المطلوب يا (هشام) بك !

ـ أدخله فورًا ..

جيد أنه تشاغل بهذا عن مسألتنا التافهة ، وسألته هامّة بالنهوض :

ـ أهى قضية أخرى أم ماذا ؟!

ـ كلا .. إنها نفس القضية ..

قطبت وتفجرت ينابيع علامات الاستفهام فى رأسى ، لكنى قبل أن أنطق بشىء رأيت الجندى يدخل متأبطًا ذراع (تامر فوزى) !

ما هذا العبث ؟!

صاح (تامر) فى غضب :

ـ بأى حق تلقون القبض علىّ هكذا فى عقر دارى ؟! ما الذى حدث ؟!

لم يرد (هشام) وإنما التفت للجندى قائلاً فى صرامة رجل شرطة محنك :

ـ أخبر (عادل) بك أن يُحضر (رءوف كساب) إلى فى الحال ..

أدى الجندى التحية مجددًا وانصرف ينفذ الأمر ، بينما هتف (تامر) فى نبرة علت :

ـ رءوف كساب) ؟! هل ادعى علىّ زورًا أننى فعلت شيئاً ؟! هل وصلت الأمور إلى هذه الدرجة من الدونية ؟!

قال (هشام) فى اتزان :

ـ اهدأ يا سيد (تامر) ، وتفضل بالجلوس ..

طمأنت لهجة (هشام) (تـامر) نسبيًا ، فجلس وهو يسأل ماسحًا وجهه براحته :

ـ ماذا ادعى علىّ (رءوف) ؟!

ـ يبدو أنه محض سوء تفاهم نريد أن يُحل وديًا ..

ـ لقد سئمت المشاكل التى تحل وديًـا مـع هذا الرجل ، إنه كارثة متحركة تمشى على قدمين ..

ابتسم (هشام) وهو يقول :

ـ لا أنصحك بقول هذا رسميًا أو بنُطقـه أمامـه ، الرجل ادعى أنك تهدده بالقتل .. هتف (تامر) فى ذهول :

ـ أنـا ؟!!

دخل (رءوف) عند هذا الحد ، وكمن صعقته الكهرباء صاح بمجرد أن رأى (تامر) :

ـ إنه هو .. هو .. ألقوا القبض عليـه فورًا .. ضعوا الأغلال حول معصميه فى الحال !

وصل عند نهاية صياحه إلى جوار (هشـام) ، فنهض الأخير مربتًا فوق كتفه ، وقال محاولاً امتصاص الموقف :

ـ اهدأ يا سيد (رءوف) ، وتفضل بالجلوس ..

صاح (رءوف) فى ذعر :

ـ سيقتلنى ... سـ ...

هتف (تامر) فى نفاد صبر :

ـ أريد أن أفهم ما يجرى ها هنا يا سيادة الرائد ..

قال (هشام) وهو يلقى نحوه بنسخة جريدة يومية شهيرة وذائعة الصيت :

ـ السيد (رءوف) تقدم ببلاغ رسمى يتهمك فيه بتهديده بالقتل عن طريق باب الأبراج فى هذه الجريدة !

نظر (تامر) إلى الصفحة المفتوحة عليها الجريدة ثم .. انفجر بالضحك .. وصاح (رءوف) بدوره وقد تصبب العرق على وجهه :

ـ لا تصدقه يا حضرة الضـابط ، إنه يخدعك ، إنه ممثل بارع و ...

قاطعه (تامر) محاولاً أن يسيطر على نفسه :

ـ ما هذا ؟! إننى لا أرى أى تهديد بالقتل فى هذا الأمر !

صاح (رءوف) وقد اتسعت عيناه :

ـ ها هو ذا قد اعترف ، سجل اعترافه يا حضرة الضابط ..

صاح فيه (تامر) بدوره :

ـ أى اعتراف ؟! إننى لا أرى سوى دائرة بالقلم الأحمر حول رمز برج (الثور) فى الجريدة ، وحتى لو كنت أنا من فعلتها ـ أقول حتى ـ فهذا ليس تهديدًا بالقتل !

قال (هشام) محاولاً السيطرة على الموقف قبل أن يشتعل أكثر :

ـ من الممكن أن يكون هناك من يحاول الوقيعة بينكما !

صاح (رءوف) :

ـ كلا ، لقد تنبأت المنجمة فى حفل (مروة) أنه يريد قتلى ..

صاح (تامر) :

ـ لقد قالت هذا عنك أيضًا ..

صاح (رءوف) :

ـ كلا ، لقد قالت هذا عنك وحدك ، والآنسة (نسرين) تشهد ..

أشار نحوى فانتبه (تامر) لوجودى ربما للمرة الأولى منذ دخل ، فسألنى بنبرة منخفضة :

ـ أأنت هنا يا (نسرين) ؟!

هممت بالرد لكن (هشام) سبقنى قائلاً :

ـ حادثنى أنا من فضلك !

عاد الصياح يعلو ، حتى بدا الأمر أشبه بمشهد فى فيلم كوميدى هابط ، وذكرت أنا أن نظرية (هشام) تبدو صحيحة بالفعل ..

إن هناك مَن وضع طبعة حذاء (كناتة) فى حديقة فيلا (ميادة) ـ إذ أخبرنى (هشام) قبل النجوم الثلاثة التى بدأ بها هذا القطاع من الفصل أن حذاء له مواصفات ما شاهدناه لم يعثر عليه فى متعلقات (كناتة) ، وهو فى الغالب أُخِذ أو لعله سُرق ! ـ ومن وضع دائرة حول برج (الثور) فى جريدة (رءوف) الصباحية حتى يبلبل أفكارنا ويجعلنا نحيد عن جادة الصواب ..

وفى الغالب هما شخص واحد هو القاتل !

ولكن من هو القاتل ؟!

حتى دائرة الموت السوداء تعيدنا إلى نفس النقطة من جديد ..

رن هاتفى المحمول وأنا أفكر ، فرددت على الفور قبل أن يزعج الجرس الموجودين فيتوقفوا ـ لاسمح اللّه ـ عن شجارهم العنيف ..

ـ آلو ..

ـ قد تستطيعين فعلها بنجاح هذه المرة ..

ـ السيد (س) ؟!

ـ لاوقت كالمعتاد ، نحن نسابق الزمن ..

ـ من ستكون الضحية التالية ؟!

ـ فكرى بعقلك ، لقد هداك إلى السر بالفعل ..

ـ والعنوان ؟!

ـ اسألى المتعاركين عندك ..

ـ و ....

ـ إلى اللقاء ، ولاتنسى ، السرعة ثم السرعة ..

ـ انتظ .....

ـ (توت .. توت .. توت !)

فعلتها وفكرت واهتديت للسر بالفعل ؟! ماذا يقصد ؟! هل ...

★ ★ ★

(... القاتل يمارس جرائمه من خلال دائرة الأبراج وفق ترتيب معين ، (الحمل) أولاً وترك (الثور) فى المنتصف ـ ثم (الجوزاء) ، فهل يترك (السرطان) ثم يقتل (الأسد) ؟!!)

★ ★ ★

نعم .. هذا ما حدث ، لقد قتلت (كناتة) وعلى ذراعها وشم يرمز لبرج (الأسد) .. ومعنى هذا ببساطة أن الضحية التالية سوف تكون تابعة لبرج (الميزان) إذ لابد أن نسقط (العذراء) التالية لـ (الأسد) ..

هذا القاتل مولع بالأبراج النارية والهوائية لسبب لايدريه

أحد إلا هو ، أو لعله مولع بالأرقام الفردية فى ترتيب الأبراج ..

لكن السؤال الآن هو من ؟!

من التابع لـ (الميزان) فى حفل (مروة) ؟!

تذكرت !

★ ★ ★

(... تبدو مرحًا للغاية مقارنة بمولود لبرج (الميزان !)

(إن شخصًا ما فى هذه الدائرة ينقش بأظفاره فوق صخرة الغروب اسمك !)

(... كان الأمر سيتضح أكثر لو أنك طلبت استقراء المستقبل !)

★ ★ ★

ـ (نائل) !

هتفت بالاسم فور أن خطر ببالى ، فتوجهت أنظار الثلاثة ـ (هشام) و(رءوف) و(تامر) ـ نحوى ، وسأل (هشام) باستنكار :

ـ من ؟!

بينما سألنى (تامر) فى اهتمام :

ـ ما به ؟!

سألته فى هلع :

ـ أين هو الآن ؟!

ـ لقد أوصلته بسيارتى إلى صالة الألعاب الرياضية فى الثانية عشرة تمامًا ، لابد أنه قد عاد لمنزله الآن ..

هتفت بـ (هشام) :

ـ هيا بنا إليه إذن ..

ـ ولِمَ ؟!

قلت بكل وجل الدنيا وخوفها :

ـ إنه الضحية رقم (٤) !

★ ★ ★

١١

- أسرع يا (هشام) ، إنها الثالثة والربع !

- إننى أفعل كل ما بوسعى ..

كنت مدركة لأنه على حق ، فزحام (القاهرة) فى هذا الوقت من الظهيرة شبيه بيوم الحشر ، ومنزل (نائل) - كما وصفه لنا (تامر) الجالس على الأريكة الخلفية موجهًا (هشام) إلى الطريق - يقع فى (الجيزة) ، ثم إن (هشام) قد شغّل سارينة الشرطة المزعجة لتفسح له السيارات فرجة جانبية للعبور ، وبرغم كل هذا كانت الدقائق تعدو كأنها فى سباق (ماراثون) !

هتف (تامر) قابضًا بيديه على مقعد (هشام) الجالس خلفه تمامًا :

- سأدلك على أكثر الطرق اختصارًا ، انعطف فى الشارع الجانبى القادم ..

فعلها (هشام) بكل تهور حتى كدنا نقلب داخل السيارة ، لكنه سيطر على عجلة القيادة بنجاح - كأنه فى رالى العربة

الطائشة أو فى أحد مطارات رجل المستحيل ! - وسمعت (رءوف كساب) يتمتم بالشهادتين خلفى ..

كاد (هشام) يصدم امرأة عجوزًا تحمل قفة فوق رأسها ، وكاد يحطم عربة بائع سندوتشات جوال لا يملك شهادة من وزارة الصحة بكل تأكيد ، وكاد يحيل دكانًا لبيع الفاكهة والخضراوات إلى أطلال مهشمة ، وكادت السيارة تنقلب بنا عدة مرات بعد أن تسلق بها (هشام) - فى مشهد جدير بصرخة الفزع التى أطلقتها - الرصيف العالى المتآكل ، لكنها خسائر لا تذكر إذ نجحنا فى التوقف أمام بناية قديمة - شبه آيلة للسقوط - فى النهاية مطمئنين إلى أن (نائل) يسكن فيها حسبما روى (تامر) دليلنا الوحيد ..

الثالثة والنصف تمامًا ..

هل تأخرنا ؟!

أخذنا نعدو - نحن الأربعة - فوق الدرجات المتآكلة ، حتى توقفنا أمام باب من الطراز العتيق ذى المصراعين والشراعتين ، وأخذت أضغط زر الجرس - دون أن أرفع أصبعى من فوقه - بينما طفق (هشام) يدق الباب بقبضته ، لم أكن خائفة من شىء قدر خوفى من تداعى المنزل القديم فوق رءوسنا !

هيا ، ليفتح لنا أحد ..

ـ نائل) .. (نااائييل) ..

شـاركنا (تامر) بالنـداء ، حتى انفتحت الشراعـة فـى النهاية ..

ـ من ؟!

صـوت امـرأة عجـوز منزعجـة ، شهقت عنـدما رأت (هشام) ـ فى حلته الرسمية ـ وخبطت صدرها براحتها هاتفة :

ـ الشرطة ؟!

أراد (هشام) أن يطمئنها لكن (تامر) أزاحه عن طريقه قائلاً لها :

ـ لاتخافى يا (أم حمادة) ، أنا (تامر) كنـا نريد (نـائل) فى أمر بسيط ..

قالت (أم حمادة) دون أن يختفـى الفزع الوراثى داخلها من رجال (الحكومة) :

ـ إنه فى دورة المياه ، لقد عاد من فوره من التمرين !

ثم إنهـا فتحـت أحـد مصراعى البـاب ـ بعد أن أغلقت الشراعة ـ قائلة فى وجوم :

ـ تفضلوا ...

ـ من يا (أم حمادة) ؟!

صوت (نائل) ... حمدًا للّه ، ما زال هناك وقت !

اندفعت ـ كالصاعقة ـ إلى الداخل أسأل (نائل) فى لهفة :

ـ (نائل) ... هل .. هل أنت بخير ؟!

نظر إلىّ فى تعجب وهو يجيب :

ـ (نسرين) ؟! نعم ... نعم ... أنا بخير ..

دخل (هشام) خلفى وهو يقول فى وقار :

ـ يبدو أن القاتل لم يتحرك نحوه بعد ..

سأل (نائل) وقـد استغلق الأمـر على فهمه واستعصى على إدراكه :

ـ قاتل ؟! أى قاتل ؟!

ثم نظر إلى (تامر) فى عجب متزايد يسأله :

- ماذا هناك يا (تامر) ؟! هل تمثلون فقرة فى برنامج (الكاميرا الخفية) أم ماذا ؟!

قال (تامر) عاقدًا ساعديه ومستندًا بكتفه إلى الباب :

- يقصد قاتل طلبة الجامعة الأمريكية !

- ولكنى لست من طلبة الجامعة الأمريكية كما تعلمون ..

دخل (رءوف) عبر الباب لحظتها وهو يقول لاهثًا :

- لكنهم يشكون أنك التالى لأنك من برج (الميزان) !

رفع (نائل) حاجبيه فى استبشار هاتفًا :

- سيد (رءوف كساب) أيضًا ؟! إنه يوم سعدى لامحالة ، ماذا تشربون ؟!

قلت فى استعجال :

- لاوقت يا (نائل) ، أخبرنى أولاً ، ألا تشعر بأى أعراض غريبة ؟!

سألنى مقطبًا :

- أعراض ؟! مثل ماذا ؟!

- صداع أو دوار أو هبوط فى الدورة الدموية مثلاً !

معلوماتى الطبية العامة أنقذتنى فى هذا الموقف ، إنها الأعراض المبكرة لجلطة المخ كما قرأتها ذات مرة فى مقال أو سمعتها من أحد الأطباء ، لا أذكر ولا يوجد وقت ..

ازداد حاجباه انعقادًا وهو يقول :

- نعم ، شعرت بشىء من هذا بعد تمرين اليوم ومازالت بقايا الصداع فى رأسى ، لكنها أشياء تحدث من حين لآخر !

احتمال أن يكون القاتل قد بدأ فى التحرك يتزايد ، لذا سألته فى سرعة :

- ألم يحدث اليوم أى شىء غريب فى صالة الألعاب الرياضية ؟!

سهم قليلاً كأنه يفكر ثم أجاب :

- لاشىء يذكر ..

- أعطنى ورقة وقلمًا !

- لماذا ؟!

- أرجوك بسرعة ، نحن نسابق الزمن ..

خف إلى غرفته ثم عاد يحملهما ، لاحظت أن الباقين أيضًا

لم يستوعبوا ما أريد فعله ، لكنى لم أكن فى حالـة مزاجيـة تسمح بالشرح والتفسير ، لهذا سارعت ـ وبيد مرتجفة ـ أرسم رمز (أوميجا) ـ آخر حروف الأبجدية اليونانية ورمز المقاومـة الكهربية فيزيائيًا (أوم) ـ وبأسفله خط مستقيم ، ورفعتـه فى مواجهة (نائل) لأسأله :

ـ ألم يلفت انتباهك هذا الرمز اليوم فى أى مكان ؟!

إنه رمز برج (الميزان) إغريقيًا كما حفظته من الدوائر الفلكية فى شقة (خلود) ووجدت (نائل) يحدق بشدة فيمـا رسمت ، ثم يقول بعد تردد :

ـ إنه ....

لقد رآه إذن !

ـ يا (أم حمادة) !

ردت (أم (حمادة) من دورة المياه :

ـ ماذا يا (نائل) ؟!

ـ هل وضعت منشفة التمرين فى (طشت) الغسيل ؟!

ردت هاتفة :

ـ ليس بعد ..

ـ أحضريها هنا من فضلك إذن ..

أتت (أم حمادة) ـ وقد كست رغوة الصابون ساعديها ـ حاملة منشفة بيضاء ، أمسك بها (نائل) ثم فردها أمـامى قائلاً :

ـ إنه يشبه هذا الرمز على ما أظن ..

اتسعت عيناى رعبًا وأنا أحدق فى الرمز المرسوم بـالرذاذ الأسود فوق بياض المنشفة ، هو بعينه الذى خططته أنا من فورى لكنه متقن إلى حد بعيد ..

ـ لقد ظننت أن أحد زملاء التمرين يمزح معى مزاحًا سخيفًا ، وكدت أتشاجر مع أحدهم بالفعل ، ولكن ...

سألنى وقد بدأ صوته يتخذ سمتًا مغايرًا :

ـ ما معنى هذا الرمز يا (نسرين) ؟!

التفتُ إلى الثلاثة الواقفين فى وجوم الموتى وأنا أقول :

ـ ليستدع أحدكم سيارة إسعاف فى الحال ..

تدافعوا نحو الباب ، بينما التفتَ أنا نحو (نائل) أسأله :

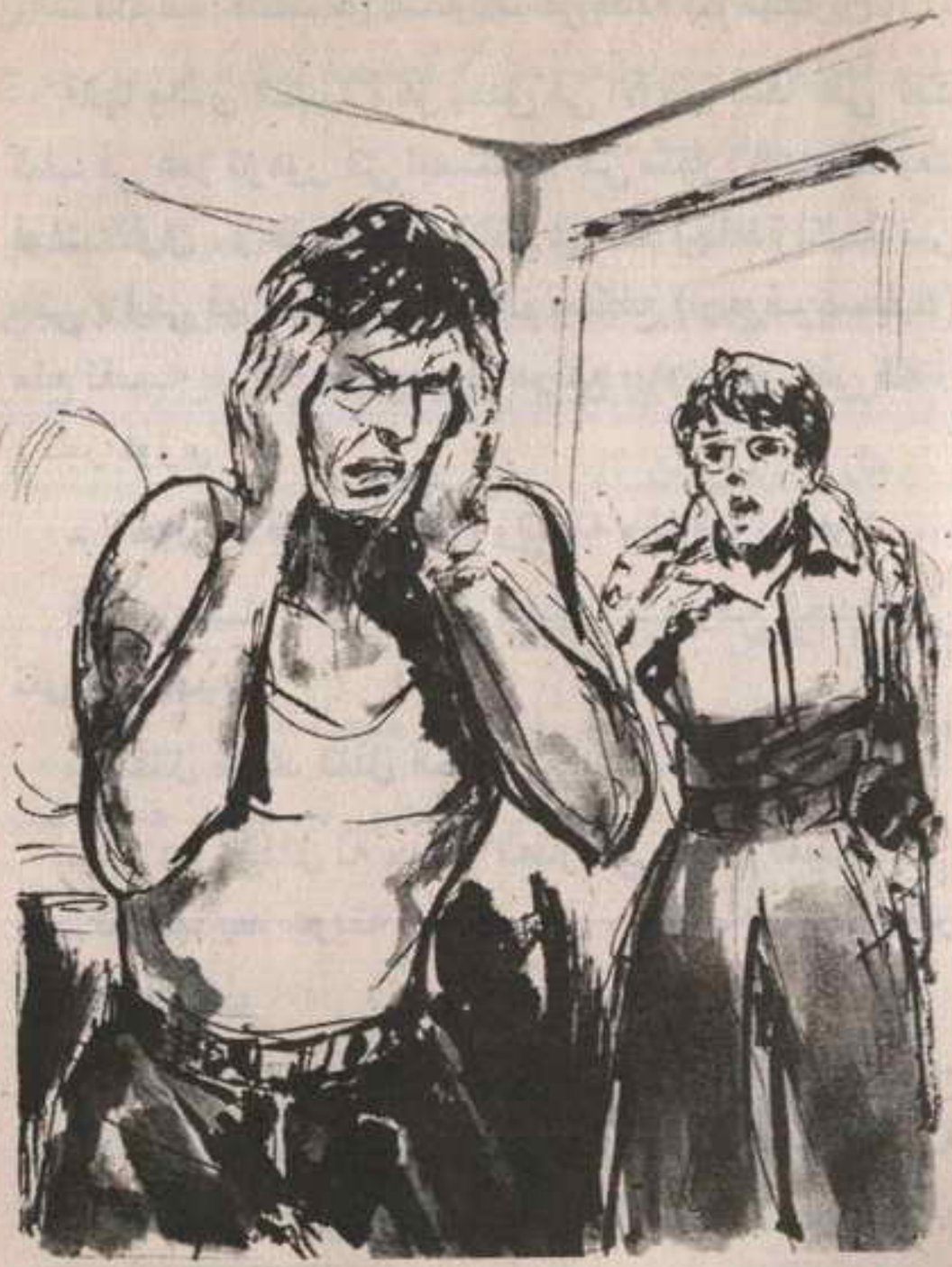

- ما الذى تناولته منذ استيقظت يا (نائل) ؟! ما الذى دخل إلى دمائك سواء عن طريق الفم أو الاستنشاق أو حتى مسام الجلد ؟!

لاحظت الذبول الذى طفا فوق مياه عينيه وهو يقول :

- ليس أكثر من إفطار الصباح المعتاد ، وبعض أقراص (الستيرويدات) المنشطة قبل التمرين ، وبعض أقراص (الفيتامينات) القوية بعد عودتى قبل ....

ارتسم الألم فجأة فوق وجهه ، وأمسك رأسه بكلتا راحتيه وهو يصيح صيحة انخلع لها قلبى من بين أضلعى ..

لم أقو حتى على الصراخ وأنا ألمحه يسقط على الأرض أمامى ، مواصلاً صياحه المتألم ..

ثم ......

سكن جسده تمامًا !

★ ★ ★

هل هو قاتل متسلسل ؟!

نعم ... لاشك فى هذا !

★ ★ ★

ارتسم الألم فجاة فوق وجهه ، وأمسك رأسه بكلتا راحتيه وهو يصيح صيحة انخلع لها قلبى من بين أضلعى ..

ـ للأسف ، فشلت كل المحاولات فى إنقاذه بـ (الهيبارين)(*) !

قالها والدى الحبيب وهو يحدق فى الأرض أسفًا على فقد شاب فى عمر الزهور أتى لمستشفاه فى سيارة الإسعاف بعد فوات الأوان ، وعضضت أنا شفتى فى ندم مجاهدة بكل قوتى حتى لا أبكى قهرًا وحزنًا ، بينما لم يستطع (رءوف كساب) منع نفسه من النحيب بصوت مرتفع وهو ينهار على كتف (تامر فوزى) !

ـ لاحول ولاقوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ..

قالها (هشام) فى جلال تناسب مع وقع الحدث فى نفوس الجميع ..

يا للقاتل الوغد النذل الجبان الخسيس !

ـ لقد دس القاتل له حبوب العقار فى علبة (الفيتامينات) التى تناولها بعد عودته من التمرين ، هذا ما اكتشفناه إثر تفتيشنا للمنزل ..

يكاد الحزن يشطرنى ، والأدهى ـ الذى لم أرد أن أصارح به أحدًا دون أسئلة كثيرة عن أسباب أجهلها ـ أن الضحية القادمة صارت معروفة ..

(*) الهيبارين : مادة تعوق تجلط الدم وتستخدم فى علاج الجلطات ..

بحسبة بسيطة نسقط فيها برج (العقرب) ـ التالى لـ (الميزان) ـ من العد نجد أن الضحية التالية هى من برج (القوس) لاريب ..

وبما أن نطاق الضحايا قد تعدى الجامعة الأمريكية ليشمل المدعوين فى حفل عيد ميلاد (مروة) المشئوم ، فلابد أن نتذكر معًا من التابع لبرج (القوس) فى الحفل ..

هل تذكرون من ؟!

★ ★ ★

((القوس) كما توقعت تمامًا :)

(الرقم (٥) هل يعنى لك شيئًا محددًا ؟!)

(... فهو رقم فى غاية الخطورة ، بينما حمل لك النهاية نفسها :)

★ ★ ★

أنا الضحية الخامسة القادمة ولافخر !

لماذا لم أخبر أحدًا ـ حتى (هشام) أو أبى فى المستشفى ـ بهذا ؟! ألم يكن هذا ليدعوهم لاتخاذ إجراءات وقاية وحماية لى ضد القاتل وأسلوب قتله الموحّد ؟!

هذا صحيح بالقطع ، لكنه أحد أهم أسباب امتناعى عن تنبيههم لهذه الحقيقة ولفت أنظارهم نحوها ـ حقيقة كونى من مواليد برج (القوس) ! ـ فأنا عاشقة لحريتى وأمقت السجون حتى لو كانت قضبانها من ذهب خالص ..

ثم إنى أتحرق شوقًا لرؤية هذا القاتل اللعين المأفون ، وأنتظر لقاءه ـ إن كان سيلقانى ويكشف لى وجهه قبل أن يقضى علىّ ـ على أحرّ من جمر متقد .. هذا بالرغم من كونى ـ كما أخبرتكم من قبل مرارًا ـ أمقت لعبة الانتظار الحارقة للدم والأعصاب ! نظرت فى ساعة معصمى ، إنها السادسة مساء ولما يرخى الليل سدوله السوداء المرصعة بماسات النجوم بعد ، وهأنذا أقف فى مكتبة الكلية ، أراقب عبر النافذة المطلة على الفناء الخلفى الواسع للجامعة عشرات الطلاب والطالبات الواقفين حدادًا على روح زميلنا الفقيد (نائل) ..

ماذا أخبرتكم من قبل عن مشاعر الحزن الجماعى النبيلة ؟!

نظرة واحدة للعبرات المنحدرة على كل وجنة ستخبركم بما لن أستطيع سرده فى مئة مجلد ضخم من ذوى الألف صفحة ..

لم أستطع ولم أرِد أن أتخلف ، لكنى لم أكن لأحتمل فيضانات الألم الجارفة بالأسفل ربما أصابنى انهيار عصبى بعد كل ماصادفته عبر يومين ، لذا اكتفيت بالمراقبة العلوية من هنا ، وتوافق هذا بالصدفة مع رغبتى المستمرة فى العلو فوق مستوى الأحداث ..

الوداع يا (نائل) !

الوداع يا من حلمت بمستقبل ملىء بالأمانى الملونة ، والوعود المطمئنة ، والأيام والليالى الدافئة ، فأضحى حلمك فى جبين الغد سرابًا بيد قاتل سفاح !

الوداع يا من ملأت دنيانا بمرحك ودعاباتك وخفة ظلك ، يا من كنت تهوّن صعوبة الدنيا ببسمة ، بضحكة ، كأنك طفل فى العشرين !

الوداع يا أنشودة سافرت فى الغمام كشعاع من نور ، احمل معك تحياتى لأمى التى لم أرها ، فى عالم الخلود الأبدى الغارق فى السرمدية !

الوداع !

تحدرت دمعة فوق وجنتى سارعت اكفكفها بمنديل من الورق ..

ـ البقية فى حياتك !

التفتَ إلى جوارى ، وقبل أن أراه عرفته ، من غيره يحمل هذه النبرة الدافئة التى تشعرك ـ دون حتى أن تراه ـ بكونها لأخ أو صديق حميم ؟!

ماذا كان اسمه ؟! تذكرت !

ـ (رامى) ؟!

هز رأسه باسمًا ، وقال مشيرًا إلى نقطة ما خارج النافذة :

ـ لقد جئت مع وفد الطلبة المعزين من الجامعة الأمريكية ، لنشارككم فى حدادكم على زميلكم الراحل كما فعلتم معنا ، ورأيتك تقفين بمفردك فى هذه النافذة فآثرت المجىء إليك كنوع من المشاركة الوجدانية ..

هززت رأسى بدورى وأنا أطالع مجموعة من الطلبة الذين رأيتهم من قبل فى أثناء ذهابى للجامعة الأمريكية مع (مروة)

فى تأبين (حسن شوقى) الضحية الأولى ، ولم تصدر منى سوى كلمة واحدة :

ـ نعم !

ثم إنى سألته بعد لحظة صمت :

ـ وما أخبار (أحمد) ؟! هل غادر صومعة الحزن على خطيبته الراحلة ؟!

هز رأسه نفيًا فى تأثر ثم قال :

ـ كلا ، لدرجة أننا نخاف أن نفقده هو الآخر ..

غمغمت فى سخرية أليمة أشك إن كان سمعها :

ـ هذا يعتمد على برجه لا غير !

هل (خلود) هى القاتلة ؟! إنها لاتبدو مختلة عقليًا لكنهم يصفون دائمًا القتلة من هذه النوعية بأنهم آخر من تشى ملامحهم بذلك !

ـ تفضلى ، خذى واحدة ..

نظرت إلى علبة أقراص النعناع الخالية من السكر التى أشار بها نحوى ، أردت أن أرفض لكن لباقتى منعتنى ثم إننى كنت فى حاجة ماسة إلى شىء طعمه لاذع أضعه فوق

لسانى ، وفهمت لحظتها سر القهوة السوداء العلقم التى يقدمونها فى سرادقات العزاء ..

ـ شكرًا ..

أخذت واحدة وهِمْت مرة أخرى فى أفكارى ، هل هو (مؤنس) ابن خالة (مروة) ؟

لو كان هو فأنا أشهد له بالحنكة والبراعة ،، يقتل أربعة ضحايا لا علاقة لهم به ثم يختفى كأنه هواء !

هل هو (تامر فوزى) ؟! أم يكون (أحمد) شقيق (مروة) نفسه ؟!

كل هذا يتطلب وقتًا لبحث صحته ويبدو أن القاتل متعجل للغاية ، بضع ساعات هى الفاصل بين كل ضحية وأخرى ، ومعنى هذا أن ساعتى اقتربت !

ثم ...

رن جرس هاتفى المحمول ، ورددت على الفور ...

ـ آلو ...

ـ قلبى يقطر دمًا ...

ـ السيد .... (انتبهت لأنى لست وحدى) أنت !

ـ سنحاول اللحاق بالضحية هذه المرة ...

ـ أليست أنا ؟!

ـ بلى ، هذا تفكير جيد ..

ـ .....

ـ المثير حقًا أنك الآن تقفين إلى جوار القاتل !

ـ ماذا ؟!

ـ (توت ... توت ... توت ...) !

بعينين لا تختلفان كثيرًا عن مرضى تضخم الغدة الدرقية الجحوظى نظرت إلى (رامى) ، اختلطت كل المعانى فى رأسى فلم أتحرك ، وأحسست أننى بلا لسان !

وبوجه كأنه قد من جليد استحالتْ فيه كل الملامح الأخوية إلى ملامح أخرى تكاد تكون خالية من دماء الحياة نظر نحوى (رامى) ، وحتى صوته الدافئ جاءنى صلبًا ، قاسيًا ، باردًا كأنه (روبوت) معدنى يتكلم :

ـ ما الأمر ؟!

بكل خوف الكون أشرت إليه قائلة :

ـ أنـ .... أنتَ الـ .... الذى ...

ـ وببسمة كأنها لم توجد قاطعنى :

ـ لو كنت تقصدين القول بأنى القاتل ، فهذا صحيح تمامًا يا آنسة (نسرين) !

★ ★ ★

١٢

ـ أنت !

نطقتها وقد حولنى الذهول إلى تمثال مصمت من الملح والتراب ، فلم أستطع ركضًا أو صراخًا ، ولم أقو حتى على توجيه لطمة إلى ملامح وجهه التى خدعتنى منذ البداية ..

وبنفس اللهجة الخاوية من أى مشاعر إنسانية ، وبنفس النظرة الثابتة فى عينيه قال :

ـ أعلم أنك لاترين منى الآن إلا السفاح الملطخة يداه بدماء ضحاياه ، وأنك تنظرين إلى كمسخ ـ لايختلف بشاعة عن مسخ (فرانكنشتاين) الذى وضعته يوم الحفل على وجهى ـ مضطرب السلوك ، أعلم هذا جيدًا وأقدره مع عدم استطاعتى تغييره إذ إننى هنا أشبه مسخ (فرانكنشتاين) بالفعل ، فقد قتل المسخ صانعه ولم يكن أبدًا مخيرًا فى هذا !

سألته محاولة التماسك :

ـ لماذا ؟! لماذا ؟!

هز رأسه فى بطء وانطلق يقول بآلية :

ـ لماذا ؟! هذا هو السؤال الذى عجز البشر منذ فجر التاريخ عن منحه جوابًا محددًا شافيًا ، لماذا ؟! لماذا نولد ونموت ونأكل ونشرب ونتناسل ؟! لماذا فينا الخير والشر ؟! لماذا الشمس والظلام ؟! لماذا الفجر والغروب ؟! امنحينى جوابًا وسأمنحك حياتى .. إنه بالفعل مسخ مضطرب السلوك والأفكار والرؤية !

ـ لم أفعل ما فعلت إلا لأن هذا كان محددًا سلفًا من ملايين السنين ، منذ انفجر النجم الأول مولدًا الكون بما فيه ..

ثم إنه استدار مشيرًا للسماء التى بدأ الظلام يغزوها ..

ـ انظرى إلى نجوم المساء ، كم هى رائعة نقية وشفافة ، كأنها قطع من الكريستال تنير لياليا وتضىء عتمة أنفسنا الضالة ! لقد اختارتنى النجوم لأنفذ إرادتها الحرة لأكون اليد التى تقطف لها زهور البشر ، ومنحتنى الحق فى أن أختار لها من أشاء ، لكنها لم تمنحنى هذه السلطة إلا مع النار والهواء ، واختارت شخصًا آخر لا أعرفه ـ ربما فى مكان بعيد من الكرة الأرضية ـ ليتولى الماء والتراب !

لهذا إذن أختار هذا الترتيب ، يا للجنون القاتل !

ـ .... لكن هذا أسعدنى على كل حال ، فالهواء والنار متلازمان منذ الأزل ، إذ لو لم يكن الهواء لما اشتعلت النار ، ولو لم تكن النار لما وجد الهواء شيئًا يشعله !

حقًا إن شر البلية ما يضحك !!!

ـ كان هذا يعنى أن لدى الحق فى اختيار ستة أشخاص فقط من أتباع أبراج النار والهواء ، واستغرقت وقتًا طويلاً للاستعداد للمهمة وانتقاء الأبطال الراحلين إلى مواقع النجوم ، اخترت (حسن) و(ميادة) و(كنانة) وظل هناك قطع ناقص ـ بلغة الهندسة ـ حتى تتم الدائرة عثرت عليه بالفعل فى الحفل أول أمس ، وهكذا بدأت التنفيذ على الفور دون تأخر ...

ما زالت هناك ضحية باقية إذن ، لكنه لم يقتلنى بعد إذا تغاضينا عن الضباب الذى بدأ فى الزحف على صفاء ذهنى ..

ـ بدأت بـ (حسن) فى إشارة المرور ، ثم (ميادة) بعملية التنصت على طلبها من مطعم (البيتزا) وإرسال ما طلبت عن طريق عامل مزيف ، ثم (كنانة) التى كان الأمر سهلاً للغاية معها إذ لم يتطلب الأمر سوى دس عقار تخثر الدم فى الـ (ماكس فورت) الذى أدمنته وكنت أحد

الموردين المعتادين لها ، ثم (نائل) زميلك المفتول العضلات الذى يقفون حدادًا على روحه بالأسفل والذى دسست له حبوب العقار بين المقويات التى يواظب عليها ، ثم ... أنتِ !

يا إلهى !

ـ هل أعجبتك نكهة النعناع بدون سكر ؟!

إننى ميتة إذن ! هالكة لامحالة !

ـ إنك محظوظة حقًا إذ سنح لك الوقت بمعرفة من أرسلك إلى السماء قبل مفارقتك للحياة على هذا الكوكب ، صدقينى يا عزيزتى ستجدين مكانك إلى جوار (القوس) أفضل ألف مرة من هنا !

ـ أنت مجنون .. قاتل .. بشع !

هذا ما استطعت قوله ـ بغضب ـ وأنا أغالب ثقل جفنى المفاجئ ، هل حل علىّ إرهاق اليومين المتواصل هكذا مرة واحدة ؟!

ـ لست بشعًا إلى هذا الحد ، لقد اخترت أقل وسائل القتل إيلامًا ، ولم أمزق الأجساد بوحشية ولم أعبث بحرمة الموتى كما يحدث فى أفلام الغرب السادية المليئة بالعنف ، إننى

حتى لم أخدش ضحاياى خدشة ولم أرق نقطة واحدة من الدم فى أثناء التنفيذ ، بل على العكس ، استخدمت وسيلة تجعل الدم يتخثر فى العروق مسجلاً باسمى طريقة حديثة لم يسبقنى إليها عقل على الأرض للقتل الرحيم ، تصورى ! إننى لا أستطيع رؤية الدماء وهى تنزف !! بل إننى أسقط مغشيًا علىّ لو رأيت إنسانًا يحتضر !!!

لماذا تتشوش الرؤية أمام ناظرى هكذا ؟! أكل هذا إرهاق ؟!

ـ .. وحتى أهون الأمر على ضحاياى أكثر وأكثر ، أضيف مادة مخدرة للعقار حتى لايشعرون بأى ألم فى أثناء النزع ..

تذكرت ، المادة التى ذكر (هشام) اسمها أمامى ، (فينوباربيتون) على ما أذكر ، لهذا إذن يعترينى دوار رهيب يكاد يسقطنى أرضًا ..

إننى أموت ، هذا كل ما فى الأمر !

ـ سأتركك الآن ، فليس لدى القدرة لأن أرى المزيد ..

قالها بكل بروده المعدنى وهو يستعد بالفعل للمغادرة ، وكدت أنا أنهار ساقطة على الأرض بيد أنى احتملت محاولة أن أسأله عن شىء ما ..

ـ و ... الـ ... ر .... مز ... ؟!

أشار إلىَ بعلبة أقراص النعناع قائلاً :

ـ ستتولى هذه العلبة ماركة (القوس الفضى) المهمة ، إن الرسم مطابق لرمز البرج إلى حد مدهش !

ألقى بالعلبة فوق منضدة قريبة من مناضد القراءة ، والتفت نحوى مرة أخيرة ليقول :

ـ إلى اللقاء يا عزيزتى ، رحلة سعيدة !

ودقت خطواته فوق أرضية المكتبة المصنوعة من خشب (الباركية) ، بينما أخذت أتطوح بين المناضد ، محاولة الصراخ دون أن تطاوعنى حنجرتى على الفعل كأنها هاجرت من عنقى إلى الأبد ..

وسقطت فى النهاية فوق إحدى المناضد ، وأسبلت عينى ولكن ..

هل كانت هذه النهاية حقًا ؟!

* * *

كنت أترحلق فوق ألوان قوس قزح بين قطع السحاب القطنى الأبيض وأسراب من الطيور المغردة تعبر أمامى من زرقة السماء الصافية ..

كانت الشمس تضحك لى من بعيد وتغمز بعينها الواسعة ، بينما القمر يتثاءب فى كسل وعلى رأسه قبعة النوم الصوفية الثقيلة ..

وكانت أبراج السماء الاثنا عشر تقف كصفى (تشريفة) وأنا أعبر بينهما فى ثوب أبيض رقيق هفاف كأننى ملكة البحور السبعة ..

حملتنى الرياح إلى مرج أخضر تتناثر فيه الورود كنقاط ذات ألوان غير محدودة ، وتمرح فيها من بعيد قطعان الغزلان والأحصنة والخراف والأرانب البرية ، لكن الليل خيم بسرعة ، وأمطرت السماء دمًا لوث ثوبى الأبيض ، فبكيت ..

تناثرت دموعى لآلٍ ، هزم الرعد فى الأعالى فلذت منه بالفرار .. أويت إلى كهف يعصمنى من الخوف ، فوجدته ..

برغم النار المشتعلة فى الأحطاب المطقطقة لم أميز من ملامحه شيئًا ..

ظلّ غارق فى ظلٍ ..

شبح إنسان ..

ورجل من وهم !

ـ أنقذنى ..

ـ مم ؟!

ـ الموت يركض خلفى ..

ـ لا أحد يهرب من قدره ..

صحت فيه :

ـ مابك ؟! ألست فارسًا لتنقذ امرأة ؟!

ـ قدرى فروسية مهزومة ..

يتحول صياحى إلى رقة هامسة :

ـ من أنت ؟!

ـ .....

ـ هل فررت أيضًا من الموت إلى هنا ؟!

ـ لقد فررت مما هو أبشع من الموت ..

تتحول رقتى إلى خوف بلا سبب :

ـ أم لعلك الموت نفسه ؟!

ـ الموت ليس بهذه القتامة ..

ـ دعنى أرك !

ـ لن أتحمل العواقب ..

ـ سأتحملها أنا ..

صمت طويلاً حتى ظننت أنه سيفعلها ويخرج إلى دائرة النور ، لكنه قال مشيرًا إلى بوابة الكهف خلف كتفى :

ـ تستطيعين الخروج ، فقد انتهت أمطار الدم بالخارج !

ثم اختفى ، كأنه لم يكن هناك من الأصل !

★ ★ ★

أفقت لأجد نفسى فى مستشفى أبى كالمعتاد !

ـ الظاهر أننى سأضطر لحجز إقامة دائمة لك ها هنا !

قالها أبى باسمًا وهو يمسح على وجهى البارد بيديه ، فسألته والدوار مازال يعبث برأسى :

ـ م ... ما الذى حدث ؟!

ـ سيروى لك خطيبك كل شىء ..

قالها أبى مشيرًا إلى (هشام) الواقف عند طرف السرير مرسلاً بابتسامة هو الآخر ، فقالت بصعوبة :

ـ لقد ظننت أننى مت !

طبع أبى قبلة فياضة بالحنان فوق جبهتى ثم قال :

ـ بعُد الشرُ عنك يا حبيبتى ..

وقال (هشام) يداعبنى بسؤاله :

ـ ومن أتزوج أنا إذن ؟!

قلت وأنا أعتدل قليلاً من الاضطجاع إلى الاتكاء بظهرى على مقدمة السرير :

ـ لقد استطعتم إنقاذ حياتى فى اللحظة الأخيرة إذن ..

هز (هشام) كتفيه وقال ببساطة من اعتاد شيئًا يكرهه :

ـ إنه بطلك مرة أخرى يا عزيزتى !

ـ السيد (س) ؟!

ـ هو بعينه ، أرسل لنا كعادته تسجيلاً لما دار بينك وبين (رامى) القاتل ، مع بلاغ من مجهول بوجودك فى المكتبة ـ التى أغلقتها الأمينة فى تمام السادسة والنصف عندما لم

تلحظ وقفتك فيها ظنًا منها أنك غادرتها ـ فاتجهنا إلى هناك ووجدناك فاقدة الوعى ..

قلت متعجبة :

ـ لكن وقتًا طويلاً كان قد مر والمفترض أن العقار سريع المفعول ..

فسر أبى الموقف بقوله :

ـ لقد وجدنا فى دمائك نسبة عالية من (الهيبارين) لانعرف حتى الآن كيف دخلت إلى جسمك إذ من المستحيل أن يكون الكبد قد أفرزها بمفرده !

ـ المهم أنك نجوت بحمد الله ..

تجاهلت الأمر ـ أو تناسيته ـ وسألت (هشام) فى اهتمام :

ـ وألقيتم القبض على (رامى) ؟!

ـ نعم ، بالأمس !

ـ يا إلهى .. لاتخبرنى بأنها الثالثة من ظهيرة (الخميس) !

قال أبى :

ـ لقد نمت كثيرًا يا صغيرتى ، فصحيح أن دماءك قد حوت مضادًا لفاعلية مخثر الدم لكنها لم تحو مضادًا لفاعلية المخدر !

استأنف (هشام) قائلاً :

ـ المهم أننا ألقينا القبض عليه فى تمام الثانية صباحًا فور عودته لمنزله ، واستسلم دون مقاومة تذكر وأدلى باعترافات كاملة لكافة جرائمه الست !

سألت (هشام) فى حذر :

ـ تقصد الخمس ؟!

ـ كلا .. الست .. فبعد القبض عليه بساعة واحدة وجدنا جثة امرأة فى الثلاثين تدعى (خلود) قتيلة فى منزلها بـ (الدقى) ، أعتقد أنها المنجمة التى ذهبتِ إليها أول أمس لتستشيريها ..

رفعت حاجبىَ وأنا أسأل فى لهفة :

ـ ووجدتم بجوارها رمز برج (الدلو) ؟!

ـ هذا صحيح ، محاط بدائرة حمراء على دائرة الأبراج الكبيرة المعلقة فى غرفة التنجيم ..

كانت هى الضحية رقم (٦) إذن ..

برز فى رأسى سؤال مباغت : ألا يحتمل أن تكون هى من خططت لجرائم (رامى) كلها ؟!

ألم يقل لى بالأمس إنه يشبه (فرانكنشتاين) الذى قتل صانعه وإنه لم يكن مخيرًا ؟! لِمَ لا ؟!

أسئلة كهذه ستظل أبد الدهر بلا إجابات ..

ـ لقد اعترف أيضًا أنه حاول تضليل العدالة باستخدام طبعة حذاء (كناتة) فى فيلا (ميادة) وبمسألة تهديد (رءوف) بالقتل حتى لا ينتبه إليه أحد قبل تنفيذ مهامه الست على أكمل وجه ..

سألتُ (هشام) مجددًا :

ـ وهل عرف بأنى نجوت ؟!

ـ كلا .. ليس بعد ، لكنه سيعرف بالتأكيد عندما تطالعه الاتهامات الستة الموجهة إليه وبينها واحدة فقط كـ (شروع فى القتل) !

تنهدت فى عمق وراحة ، لقد اكتملت دائرة الموت الجهنمية إذن ، ولكن بقى فيها قطع ناقص على حد تعبير القاتل ..

هذا القطع هو أنا ولافخر !

* * *

خاتمة ما زالت ضرورية لكنى لست مضطرة !

مازال هواء الكافيتيريا محملاً بعبق السجق والهامبورجر والصلصلة والمايونيز ..

جمعتنا الطاولة هذه المرة بعد أن أبعد الموت عن مجموعتنا أكثرنا مرحًا ، لكنها الحياة تستمر أبدًا غير آبهة بإتيان أو ذهاب أحد ..

ـ تحقيق رائع يا (نسرين) ..

قالتها (رحاب) وهى تلوح بنسختها من جريدة (الأربعاء الأسبوعية ، فقلت فى امتنان :

ـ أشكرك ..

كان هذا رأى السيدة (ألفت) التى لا تعرف مجاملة أو محسوبية فى عملها ، وأسعدتنى عبارتها جدًا بعد درس المرة السابقة القاسى ، لكنها سعادة لاتقاس بمقدار سعادتى لرؤية التحقيق منشورًا ..

مهما أوتيت من فصاحة لن أستطيع أن أصف مقدار

سعادة الكاتب عندما يرى كلماته منشورة ، إنه شعور لايضاهيه إلا سعادة الأم بابن ولدته !

ـ يصلح كفيلم ذى عنوان جذاب ، (ستة) أسوة بفيلم (سبعة) الشهير ، ما رأيكن ؟!

قالها (تامر) محاولاً كسر الجمود الذى يكسو الجلسة ، لكن أحدًا لم يضحك ـ أو حتى يبتسم ـ لعبارته ، كأن الضحك قد أصبح من المحرمات بعد ذهاب (نائل) !

ـ تصوروا أن نبوءة المرحومة (خلود) قد تحققت ، فأنا و (رءوف كساب) الآن على قدر لايتصوره عقل من التفاهم بل والتواصل أيضًا !

قالها (تامر) متفاديًا الحرج الذى اعتراه بعد دعابته التى قابلناها بالصمت ، فقالت (مروة) فى رصانة :

ـ (كذب المنجمون ولو صدقوا) ..

وأضفت فى تحذلق :

ـ وأحيانًا يكتبونها (ولو صدفوا) ، أى حتى لو صدقت إحدى نبوءاتهم بالصدفة !

وقالت (رحاب) فى تذاكٍ :

ـ لقد كتبتِ هذا فى خاتمة التحقيق بالفعل ..

علق (تامر) بقوله :

ـ لقد أعجبتنى للغاية نظرية عالم النفس الأمريكى التى أشرت إليها حول أن كل إنسان هو قاتل بالفطرة ..

عارضته (مروة) قائلة :

ـ لقد أعجبتنى أكثر مقولة (توماس هاريس) حول القاتل المختل عقليًا ..

هززت كتفى قائلة فى بساطة :

ـ على كل ، الفضل لـ (مؤنس) ابن خالتك فى إمدادى بالنقطتين !

عقدت (مروة) حاجبيها ليلتقيا فوق أنفها المكوّر وهى تسألنى فى استنكار :

ـ من ؟!

قلت فى بساطة أكثر :

ـ (مؤنس) ابن خالتك ، طالب (علم النفس) بكلية (الآداب) ..

- ليس فى عائلتنا كلها من يحمل هذا الاسم !

- ..... !!

هذا أبعد ما يكون عن تفكيرى ، أيمكن أن ؟!

- و ... ولكنه كان معنا فى الحفل ، الشاب المتنكر فى زى (سوبرمان) !

(سوبرمان) !

يا إلهى ، إنه عرف الـ (س) مرة أخرى !

ردت (مروة) وهى تحاول الحفاظ على لياقة حديثها :

- إنه لم يكن مدعوًا ، لقد جاء فى إثرك مباشرة وجلس معك وحدك ثم غادر بمجرد أن غادرت أنتِ ..

هزت (رحاب) رأسها بالإيجاب وقالت مؤمِّنة :

- هذا صحيح ، لقد ظنناه جميعًا أحد معارفك أو أقربائك !

إنه هو ، السيد (س) متنكرًا مرة أخرى ، لكنه - حتى يضللنى تمامًا - قد ألحق حرف (س) بمؤخرة اسمه لامقدمته ككل مرة !

ثم ....

يبدو أنه أنقذ حياتى مرة أخرى ..

لاشك لدى أن اللادن بنكهة النعناع الذى أعطانيه على سلم إدارة المباحث الجنائية كان يحوى (الهيبارين) الذى أنقذ حياتى من عقار (رامى) القاتل بلا ألم ..

نظر الثلاثة - (رحاب) و(مروة) و(تامر) - نحوى كأنى بلهاء ، وحاروا فى سؤالى كما حِرت فى سؤالهم ، ولم ينقذنى من هذا الموقف السخيف الحرج سوى رنين الهاتف المحمول فاعتذرت منهم ونهضت لأرد بعيدًا ..

- آلو ...

- تهنئتى ببقائك على قيد الحياة ..

- السيد (س) ؟!

- نعم يا صغيرتى ، صاحب الألف هيئة والألف اسم والألف لون ..

- أشكرك !

كانت المرة الأولى التى أحادثه فيها هكذا دون لهف أو خوف أو اندهاش ، كأنى سلمت بغموض شخصيته واعتبرته أمرًا واقعًا ..

والظاهر أنه صُدِم بهذا : فأغلق الخط على الفور ..

كنت أعرف أن بحثى فى سجل الأرقام المستقبلة سيمنحنى عبارة (رقم خاص) كما فى كل الاتصالات السابقة ، إذ يبدو أنه يحادثنى عبر هاتف محمول يتمتع بخدمة إخفاء رقم الطالب ، لكنى مع هذا بحثت لتجىء النتيجة كما توقعت ..

لتكن يا سيد (س) من تكون ، لكنى مدينة لك بالكثير ..

بعمرى كله لو أردت الحقيقة !

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

مغامرات "س"

دائرة الموت

محمد سليمان عبد المالك

بدأ الأمر بلعبة بريئة في حفل عيد ميلاد، وانتهى بسلسلة من حوادث القتل المتشابهة ...

السؤال هو : ماذا تفعل لو عرفت أنك الضحية التالية ؟

وأن اسمك قد أدرج في دائرة الموت البغيضة ؟!

لقد كان السيد (س) يعرف بالتأكيد أما بالنسبة لـ (نسرين الجبالي) فقد عرفت ـ كالمعتاد ـ في اللحظة الأخيرة !

مطابع سلاح التلميذ

قرش صاغ

الثمن في ...

وما يعادله بالدو...

في سائر الدول العربية والعالم